٨

من مدرسة أهل البيت

العلامة البحّاثة الشيخ

يعقوب الحسن



محمود عبد الرحمن

SHASH شاش

من مدرسة أهل البيت عليهم السلام

العلامة البحّاثة

الشّيخ

يَعقُوب الحَسَن

من مدرسة أهل البيت (عليهم السلام)

العَلامة البحّاثة

الشَيخ

يَعقُوب الحَسَن

تأليف

محمود عبد الرحمن

آل عباس سلمان

توزيع

مكتبة شاش

طرطوس سوريا

هاتف ٣١٩٧٨٠

٣١٩٧٨١

٣١٩٧٨٢

فاكس : ٣١٩٧٧٧

جوال : ٠٩٥٥٣١٩٧٧٧



مُقَدِّمَة

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي أيَّدَ كلمة الحق بالبراهين القاطعة، وأعلى كلمة الصدق بالحجج اللامعة، والصلاة والسلام على المبعوث بخير الأديان، محمد المختار من شجرة بني عدنان، وعلى آله الأطهار، وأصحابه الأخيار.

من المعروف أن الأوربيين قد بدأوا حملاتهم التبشيرية بعد فشل الحروب الصليبية مباشرةً في استئصال شأفة الإسلام، فأرسلوا المبشرين وكلفوهم بمهام متعددة، أولها: تشكيك المسلمين بعقيدتهم، والدس على نبيهم، والتشكيك بقرآنهم، وإدخال من أمكن إدخاله بالدين النصراني، وكذلك نشر المزاعم الكاذبة التي تفتري على الحقائق الثابتة، مثال ذلك:

الزعم بأن الفكر الإسلامي فكر يوناني بأحرف عربية، وأن كل روائعه امتداد لليهودية والمسيحية في القديم والحديث، والدعوى بأن اللغة العربية أصبحت متخلفة وغير صالحة لمسايرة الركب الحضاري، وبدلاً منها يجب استخدام اللهجات العامية، كما يجب استخدام الحروف اللاتينية عوضاً عن

الأحرف العربية، والدعوة إلى إحياء العنصريات في الوطن العربي مثل إحياء الفرعونية في مصر والآشورية في العراق والفينيقية في لبنان وفلسطين والبربرية في شمال وغرب إفريقيا.

ولتحقيق هذه الغايات استخدم المبشرون أساليب متعددة أذكر منها:

معالجة المرضى بعد أن يحملوهم على الاعتراف بأن الذي يشفيهم هو السيد المسيح، وإلقاء المحاضرات في موضوعات اجتماعية وأخلاقية وتاريخية، وإنشاء المجلات، وافتتاح أبواب فيها غير دينية، وتأسيس المكتبات لبيع الكتب بأثمان رمزية، وذلك لاستدراج الزبائن ومحادثتهم أثناء البيع، وفتح المؤسسات التعليمية كالمعاهد والمدارس والجامعات لنشر الفكر الغربي، وخلق طبقة مثقفة بالثقافة الغربية تمهيداً للغزو العسكري.

وفي جبال العلويين جاء المبشرون وبأعداد كثيفة، وحاولوا نشر سمومهم بأساليب الإغراء والعلاج الطبي والخدمات الاجتماعية المتنوعة، ولكنهم باؤوا بالفشل الذريع،

ولم يتمكنوا من اقتلاع العلويين من عقيدهم وتراثهم، كما فشلوا في المناطق العربية الأخرى.

وخلال عمل المبشرين في الوطن العربي جاء المستشرقون لمساندهم في تحقيق مهامهم الخبيثة، واتحد المستشرقون والمبشرون في جبهة واحدة، وعملوا معاً لتحقيق أهداف الاستعمار.

ومن الأساليب التي استخدمها المستشرقون أهم طرحوا أفكار هدفها إحداث بلبلة في أذهان شباب المسلمين، مثل تعدد الزوجات وضرورة إطلاق الحرية للمرأة بالاختلاط في العمل والعلاقة بمن تشاء، وإشاعتهم أن الإسلام لم ينتشر إلا بالسيف والقوة، واصفين المجاهدين في سبيل الله بحب القتل من أجل التسلط والسيطرة، وترغيب المسلمين بالخمر والزنا واللواط، وأن هذا كله من الحرية الشخصية، وافتروا على رسول الله ﷺ مفتريات لا يصدقها العقل، ولا يؤيدها النقل، وحرصوا على التشكيك بالقرآن الكريم وكل ما جاء فيه، وقاموا بنشر كتب عن السحر والمجون، ونشروا أساطير تقول بأن الإسلام أسطورة شعبية، وأنها منقولة عن اليهودية

والمسيحية، وزوروا الكثير من النصوص، وحاولوا تحريف القرآن، وكان هدفهم تدمير التراث العربي والإسلامي.

فالاستشراق ليس مشروع دراسي موضوعي، بل هو مشروع هدفه الانتقام من الفكر الإسلامي، ونشر الفكر الإلحادي والنظريات الفلسفية المادية، وعلى أوسع نطاق ممكن.

وكتابنا عن العلامة الشيخ يعقوب الحسن قدس سره يتناول أفكار وآراء هذا الفيلسوف العظيم، ففي هذا الكتاب مقتطفات من فكر هذا العلامة الكبير، الذي تصدَّى للمبشرين والمستشرقين، وفنَّدَ حججهم ودحضَ نظرياهم بطريقة علميةٍ، ودافع عن الإسلام أيما دفاع، فكان أولَ من حاربَ الأفكار الأجنبية في منطقتنا، رضيَ الله عنه وأرضاه، وجعلنا ممن اهتدى بهداه.

وأرجو أن أكون قد وُفقت بما قدمت في هذا الكتاب، وما توفيقي إلا بالله العلي العظيم، عليه توكلت وإليه أُنيب.



الفصل الأول

قراءة في سيرة

حجة الإسلام

العلامة الشيخ

يعقوب الحسن

الفصل الأول

قراءة في سيرة العلامة الشيخ يعقوب الحسنﷺ

نسبه : هو يعقوب بن حسن بن محمد بن علي بن معروف بن علي البريعي، رضيَ الله عنهم أجمعين.

ولادته : ولد هذا العلامةﷺ في قرية **بريعين** ١٢٨٤هـ التابعة لمنطقة جبلة ثم انتقل إلى قرية **زمرين** في بني علي وعاش فيها عدة سنوات ثم توطن في قرية **ديروتان** القريبة من **زمرين** وظل فيها حتى وفاته ١٣٤٨ هـ.

هيئته : كانﷺ ربعة من الرجال رقيق البدن والأنف والشفتين لباسه الأبيض والعباءة الصوفية، أشهل العينين.

نبذة عن سيرته :

يقول العلامة الشيخ يعقوب الحسنﷺ عن نشأته:

« منذ خروجي إلى ميدان الحياة وتنسمي بليل الطبيعة لا أعلم شيئاً سوى أم رؤوم تناولني الغذاء من ثدي حنون بعد فراغها من نوبة العمل شأن الأمهات القرويات في الحالة المتوسطة، ولما أتممت مدة الرضاع وبلغت الفطام الذي هو أول درجة من درجات الحياة علمت أن لوالدتي أمراً تخضع

لإرادته وتفتقر إليه في جميع أعمالها المادية وهو والدي ـ رحمه الله ـ وكانت ولادتي بين أخوة وأخوات في قرية (بريعين) عام ١٢٨٤ هـ وقبل معرفتي مسقط رأسي قصد والدي الهجرة فألقى عصا الترحال بناحية بني علي وكلاهما من أعمال اللاذقية فأكرم أهلها وفادته ولقوه بالتجلة والإكرام وقلوب ملؤها السرور والابتهاج حتى أنساه ما شاهده من ولائهم وحشة الغربة وفضل ما نقل إليه على ما انتقل منه وعاش بجوارهم باقي حياته قرير العين حر الضمير إلى أن توفاه الله طاهر الجنان واللسان عفيف النفس والبنان ولقيت منهم بعده خير ما لقي من الوقار والاحترام وحرية الضمير وسمو المقام فجزاهم الله خير الجزاء فترعرعت بحجر والدي على التربية الصالحة حسب نزعته على الورع والتقوى والقناعة وكان بي رؤوفاً رحيماً غفر الله له، إلى أن وطأت بساط السنة السابعة من العمر انتظمت في سلك التعليم الابتدائي وهو قراءة القرآن الكريم وتجويده لا غير إذ لا يوجد في محيطنا حينذاك من يدرِّس اللغة العربية فقنعت بما منَّ الله عليّ رغماً عن نفسي التي كانت تظمأ إلى

ورود مناهل هذه اللغة الشريفة فعكفت على مطالعة الروايات والقصص القديمة التي كانت أكثر رواجاً في ذلك الزمن البسيط حتى بلغت سماء السنة الثانية عشرة من عمري هيأني والدي لخدمة أحد أساتذة الدين والعلم وهو معلمي ومرشدي الشيخ (حيدر ديب قصابين)[1] ﷺ وكان على جانب عظيم من التقى والفضل غفر الله له وجزاه خير ما جوزي به والد محسن عن ولد بار، فأخذت عنه الفقه على مذهب الإمام جعفر بن محمد الصادق/ع/ وولاية آل البيت الطاهرين /صلوات الله عليهم/ وبعد أن أتممت دروسي الروحية بخدمة أستاذي حتى خيل إلي بأنني انتقلت من طور إلى طور وخرجت من عالم إلى آخر ونظرت في هذا الكون نظرة كنت عنها من وراء حجاب وبعد ذلك أخذت

---

(١) هو الشيخ حيدر بن ديب بن إبراهيم بن موسى بن غريب بن عيسى بن مرهج بن نور الدين بن سليمان /الرويس/، ولد في قرية الرويس القريبة من جبلة، وبقي فيها خمسة عشر عاماً، ثم انتقل إلى قرية /المريحان/ القريبة منها، وتوفي عام ١٣٠٨هـ ، كان قدس سره تقياً ورعاً حافظاً للقرآن الكريم ويعلمه لأبناء القرى حتى وفاته.

بمتابعة تحصيلي معتمداً على نفسي وطالعت كل شي وقع في يدي فدرست الكتب الدينية وحاولت التنقيب عن أسرارها وخلال ذلك وفقني الله في إحراز حيز كبير من قواعد اللغة العربية بدون أستاذ، ونظمتُ بعض قطع من الشعر على الأسلوب القديم، ثم طالعتُ بعض الأسفار التاريخية ووقفتُ على البعض من حقائق الأديان القديمة وأسماء مصلحيها، وحصلت على ما وُفقت لالتقاطه من شذور أسرارها ».

ثم عكف على تأليف أشهر الكتب الحديثة وهو كتاب **التذكرة** الذي جمع فيه العديد من المقالات الهامة، والتي شرح فيها كل تعاليم الديانات القديمة السماوية والوضعية، ونجح نجاحاً كبيراً في نفي ودحض حجج الملحدين، وبرهن بالحجة والبرهان والدليل والقاطع على زيف الملحدين، وأكد أن العلم لا يتعارض مع الدين، وبرهن على وجود الله الخالق القادر، واستشهد بآراء مجموعة كبيرة من العلماء غير المتدينين، وقد أشاد جميع العلماء بهذه الدراسات القيمة التي ألفها العلامة الشيخ يعقوب الحسن قدس سره، وكان لهذه الدراسات أثراً كبيراً في انحسار موجة الإلحاد والتي حاول المبشرون والمستشرقون

نشرها في البلاد العربية، وبهذا يكون العلامة الشيخ يعقوب الحسنقدس من كبار المدافعين عن الإسلام، إذ تصدى لمحاولات التضليل ونشر الفكر المادي في بلادنا العربية، فدحض مزاعمهم وبين أن الأديان السماوية هي الكفيلة بتحرير الإنسان من الجهل والاستبداد، وهي التي أنقذت البشرية من التيه والضلال وقضت على الإمبراطوريات الشريرة كالإمبراطوريتين الرومانية والفارسية وبعدهما البيزنطية، لذا يُعد كتابه الأول من نوعه، ومقالاته يتيمة عصره، وقد نجح في ذلك نجاحاً عظيماً، فجزاه الله خيراً على صنيعه.

منْزلتهُ بين علماء عصره:

كان العلامة الشاعر الشيخ يعقوب الحسنقدس يحتل مكانة مرموقة بين علمائنا وأعلامنا، وهذا أمر طبيعي لما كان يتمتع به من مزايا قلّ نظيرها، فهو عالم وفقيه وشاعر ورائد نهضة ورأيه مسموع، ومقالاته أثارت اهتمام العلماء كافة، وكانت تجري بينه وبين علماء عصره مراسلات واجتماعات ومناقشات بهدف إصلاح المجتمع وتخليصه مما علِقَ به عبر تاريخٍ طويل من أمور لا تمتُّ إليه بصلة، وكان رأيه مسموعاً

لسعة علمه وإطلاعه على علوم عصره كافة، ولأنه يحذر من عاقبة اللامبالاة وترك المتطفلين يعيثون في الدين فساداً، وخشية من وعيد رسول اللهﷺ الذي قال: « **إذا ظهرت البدعة في أمتي فليظهر العالم علمه، فإن لم يفعل فعليه لعنة الله** »، لذلك كله قامَ الشيخ يعقوب الحسنﷺ بمحاولات كثيرة لتقويم الاعوجاج، فأخذَ يراسل كبار علماء الطائفة، وعلى رأسهم علامة عصره وقريع دهره إمام الأجيال العلامة الشيخ سليمان الأحمدﷺ، وذلك لإيجاد الحلول للمشكلات والبدع والغزو الفكري الخارجي، فكانت الحصيلة مجموعة من المراسلات عثرنا على جزءٍ يسيرٍ منها، وهي وإن كانت قليلة إلا أنها تدلُّ دلالةً جليةً على حجم المعاناة التي كان يعانيها العلماء في محاربتهم للأضاليل، وعلى جهودهم الجبارة في إصلاح المجتمع، وتوحيده. وهذا نموذجٌ من هذه الرسائل:

رسالة موجهة من

العلامة الأوحد الشيخ سليمان الأحمدﷺ

« سيدي الأخ الكريم: أرقت ليلة فراقك وما أكثر أخواتها مفكراً فيما آلت إليه حالتنا من انحلال روابط

الأخوة وزوال عصمة الأبوة ونبذ الأوامر الإلهيه ظهريا إلى ما يتبعها من اختلال هيئتنا الاجتماعية، الحالة التي تـــمص حياة العاقل حتى يحسد الجاهل ، فتنقلت بي هواجس الفكر من حال إلى حال حتى اوصلتني إلى هذا السؤال: ((هـــل نحن مؤمنون حقاً، وبالأخص هل نحن من شيعة امير المؤمنين وحزبه الفائزين)) ثم رجعت إلى نفسي فســألتها أو هـــي سألتني هذا السؤال، وحينما فكرت في الجواب اقشعر لـــه بدني وقفَّ شعري . أما القول باللسان : /أنا مؤمن حقـــاً/ فهو في غاية السهولة لو لم يعترض الضمير ويحاسب علـــى النقير والقطمير، وإليك البيان للإيمان وهو الولاية الصادقة بشروط فمن ادعاه بغير شروطه كانت دعواه زورا وزعمه غروراً وعمله بوراً، وأخص شروطه الحب في الله، فهل نحن ممن يوالي أولياء الله، فأين الحنان والحب والألفة المـــأمورون بها . أما أنا الفقير فو الله لا أكاتم أنني ما قدرت أحير جواباً لا سلباً ولا إيجاباً، فعسى أن يكون عند القارئ الكريم مـــا يشفي ويكفي، وكيف كان الأمر فإن الســـعي بالإصـــلاح واجب على كل فرد من أفراد الأمـــة والأمـــر بـــالمعروف

والنهي عن المنكر فرض عين على خير أمة أخرجت للناس. والعذاب إذا أصاب الأمة بإهمالها يشمل الحلماء والسفهاء؛ الحلماء لترك النهي والسفهاء لترك التناهي. والمراد بلفظ الإصلاح إصلاح الخلل الذي طرأ إلى مجتمعنا من ترك الأوامر الدينية والإقتداء بالسلف الصالح، إن انقطاع الرحم الدينية ينزع من القلوب الشفقة والحنان ويسلبها الضمير والوجدان (تالله هذا واقعنا الآن) وإذ ذاك تنقطع الرحمة الإلهية فلا يبقى في السماء ناصر ولا في الأرض عاذر، فما العلاج لهذا الداء يا ترى، وأي الطرق إليه أقرب، وأية الوسائل فيه أنجع، هذا ما يُطلب من كل عاقل مفكر، فليس أحد بفوق أن يُعان ولا بدون أن يعين، كما قال مولانا أمير المؤمنين . وما هو ــ أي الإصلاح ــ بالأمر السهل مع تلك الفوضى الأخلاقية وعدم الانقياد إلى رئاسة دينية وهي أول الواجبات على الطائفة العلوية، وما أظن بدونها ينتظم أمر ولا يتهيأ للخير عمل دون الاتفاق عليها الآن، ومن الموانع ما يهيض جناح الساعين ويصم الآذان عن دعوة الداعين الذي أراه أولاً في تقرب القلوب التحذير من هذا

التقاطع وبث العظات في وجوب الألفة الإيمانيــة، ومــتى صفت القلوب وأخلصت النيات صحت الأعمــال وتبــع الخير بعضه بعضاً، وإلا فلا، فما رأيك أيهــا الأخ الكــريم أرجو الجواب مشفوعا بما تأمر علي من الأعمال وعسى ان اكون من الملبين، ولا بأس بعرض هذه الأفكار علــى مــن ينضوي إلى علمك من أهل الإيمان والخــير، ونســأل الله سبحانه التوفيق لما يحبه ويرضاه من القول والعمل والنيــة والفعل، إنه سميعٌ مجيب والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته سيدي .

٩/جمادى٢/١٣٤٥

وصورة جوابه ضمنها فنرجو من فضيلتكم ما رجوناه من سيادة الأخ الشيخ يعقوب أفندي. فيجب التعاضد ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ﴾[1] أقسم بالله أن الواجب علينا عظيم والتبعة كبيرة والأمر خطير فلا تتهاونوا، ولا يقل كل واحد عند سماع مثل هذه الأقوال عليَّ نفسي، فوالله العظيم لا يغني هذا العذر عند الله، أخذ الله بيدكم

(١) (المائدة : ٢)

ويدنا إلى ما فيه خلاصنا حالاً ومآلاً والسلام عليكم ورحمة الله » .

فأجابه العلامة الشيخ يعقوب الحسن تَدَمَّتْ :

« مولاي صاحب الفضل والفضيلة، صغُرت نفسي لدى نسبة الأمر إلى هذا العاجز، ثم تمثل تلقاء فكري مآل هذا الرأي النافع فانتعشت بعد أن كادت تتوارى حياءً وخجلاً لمشاركتي بهذا الثواب الذي لا أقدر على تقديره. سيدي: الحالة التي أوصلت هذا الشعب لهذه الدرجة المنحطة هي كما ذكرت من ترك الأوامر الدينية وعدم الالتفات إلى واجباتها المفروضة، والخلل الذي طرأ عليها من جراء الإهمال وآفة الفتور من تغافل رجال الدين عن القيام بواجباتهم المشروعة، وتغاضيهم عن العابثين بآدابه المطموسة المحاسن. وإهمالهم الحزم والوئام الذي به السعادة الدينية والدنيوية. هذه الأسباب. وما تفرَّع عنها لا يُعد. فالأولى أولاً : النظر في الشؤون الدينية وتجديد ما رثَّ من قواعدها القويمة وإيضاح الخطة التي يجب عليها السير على سبيل السلف الصالح، وبيان تفضيل الرحم الدينية على الطبيعية،

والندب للعمل بهذه الخلة الفاضلة لتكون ذريعة للتوصل إلى ما سواها، ولا أقدر على سرد اللوازم التي تجب بالوقت، وسيادتكم أسمى إدراكاً وأسد رأياً، وأعد ما ذكرته ضرباً من الفضول لأنك به أخبر، واقتراحي على سبيل الرجاء لا الأمر لجهة الاشتراك بالثواب لا غير، وفّق الله مسعاك وسدد مرماك وأيد الله الأمة للعمل بإصلاحاتك المقدسة، وعليك السلام ورحمة الله وبركاته سيدي »[1].

٢٠/كانون الأول/١٩٢٦م الإمضاء : يعقوب الحسن

من خلال هذا الجواب نستدل على أهمية العلامة الشاعر الشيخ يعقوب الحسن قدس سره وأهمية اقتراحاته وآرائه في الإصلاح الذي ينشده مع إمام الأجيال قدس سره، فالآراء واحدة متفقة ومتطابقة، وقد نجحا معاً في تحقيق الكثير من الخطوات الإصلاحية، وعملا معاً لتنوير أذهان الأمة، ولم يجاملا أحداً، لا بل أن العلامة الشيخ يعقوب الحسن قدس سره شنَّ هجوماً في شعره على الذين يعرقلون الإصلاح ويتسترون بالدين لتحقيق

---

(١) راجع كتابي: علامة الأجيال وقاهر الدجل والبدع والخرافات، العلامة الشيخ سليمان الأحمد.

مآرب شخصية أو مكاسب مادية، ووصف هؤلاء بنعوت تليق بهم، ودعا لإيقاف ترهاتهم، ودعاهم للتمسك بأهداب الدين وأحكامه كما أمر الله تعالى.

وقد وجه الشيخ يعقوب الحسن قدس سره نصيحة لعلماء الدين وكافة المتدينين، ينصحهم فيها بالتمسك بالدين والدفاع عنه، وألا يسلموا زمام الأمور للجهلة والطفيليين الذي يتأكلون بالدين، فتداس هذه الجوهرة الثمينة، ولا من يدافع عنها ويصونها، وكم تصبح صورة الدين قبيحة عندما تتمثل بمن لا يفقهون منه فتيلاً ولا نقيراً، وهل نلوم عندها مَن ينفرون من الدين، أم نلوم من يُمثل الدين؟ قال قدس سره:

تنبيه وذكرى في بيان تغافل رجال الدين عن مساوئ العائثين بآدابه، واستلفات نظرهم إلى مراعاة أحكامه القويمة، والحض على القيام بهذا الواجب المقدس:

إخواني وفقكم الله، قد علمتم من فضل الدين وآدابه ما أنتم أولى بها، ووجوب المعرفة على كل فردٍ من أفراد الأمة، وأجلّها معرفة الإنسان العلّة الأولى ، كما قيل: « إذا كان الله أجلّ الأشياء كانت المعرفة به أجل العلوم »، وهذه

المعرفة ليست كالعلوم السطحية، بل هي سر الله الذي اختصّ به الكمل من عباده، فينبغي مراعاة هذا القانون. لأنه روح الأديان وخلاصة الإيمان ونجاة الإنسان، بشرط تحقيق العلم به معنوياً، وإخلاص العمل بنواميسه ماديا.

ومما يدمي القلوب فضلاً عن العيون ويثير زفرات الشجون إغماض عيون الزعماء من أنصاره الروحيين، وغض النظر عن مساوئ مدعي الانتظام في سلك هذا العقد الدري الفريد، والأمر بعكس ما يزعمون، فانتظام الزائف مع الخالص لا يلبث بأن تزول طلاوته ويرجع بناموس جاذبيته إلى حيث عنصره.

وإن هؤلاء الدخلاء المرائين قد أخذوه سهلاً فعاثوا به جهلاً، وما يمنع أصحاب النفوذ الديني من الضرب على أيدي هؤلاء الطغمة الخونة الذين اتخذوا العلم مختلةً والدين ماكلةً.

فرحماك اللهم رحماك بهذه الدرة المصونة والجوهرة المكنونة التي أصبحت ملقاة على الأسباخ تتداولها أيدي المحتقرين السفهاء، مجهولة القيمة، مهانة المقام، بعد أن كانت

أعز من الكبريت الأحمر، وامنع من عقاب الجو، وما ذلك إلا من إهمال خزنتها وتغافل حملتها، فهم الذين أضاعوا كرامتها وسلبوها حرمة العزة والوقار، إلا الأفراد منهم وقليلٌ ما هم، والأحق باللوم عن سواهم، ولست ابرئ نفسي من اللوم، فكيف وأنا من فضيلة القوم.

ويعلمون علم اليقين أنها كنز حياتهم، وبها سرُّ نجاتهم، فهل فاتهم علم أنهم مسؤولون عما يعلمون ولا يعملون، بلى والله ليسوا بجاهلين عن هذا ولا غافلين، بل متغافلين، أهذا هو الصواب ؟ لا والذي عنده علم الكتاب، أما آن التيقظ من هذا السبات ؟ أما حان الانتباه من هذه الغفلة المهومة ؟ فحذار من طغيان هذا التيار الجارف وفوهة هذا البركان المخيف.

هلموا لتوحيد الكلمة الدينية وطرح التهور المشين والتمسك بروابط الحزم والوئام وإجماع القوى الفكرية للنظر في شؤون هذه الآداب المطموسة المحاسن المباحة للهمج الرعاع، ورفع قواعد هذا الكنز الثابت العماد ووضعه على الصورة التي أُسس عليها منذ نشأته، وسد

الخلل الذي طرأ عليه من جراء الإهمال وآفة الفتور، ونزع التقاليد الوضعية والحشو الدخيل الذي شوه إتقانه البـــديع ومحاسنه الشائقة. مع رفض الذين يمارون به ليشتروا به ثمناً قليلاً فما ربحت تجارهم ولبئس ما يشترون. يستبدلون الدر بالصدف، والنضار بالخزف، ويؤثرون الدنيا على الآخــرة وتلك صفقةٌ خاسرة. فيجب تنبيههم أولاً عن ســوء هـــذا الصنيع ووخامة المصير المؤدي إليه.

ولو أنّ أهل الدين صانوه صانهم ولو عظَّموه بــالنفوس لعظمـــا
ولكن أهانوه فهــان ودنســوا محياه بالأطمــاع حــتى تجهَّمـــا

وعزيز عليَّ والله أن أرى حقكـــم ضـــائعاً، فالـــدين يناديكم، والضمير يناجيكم، وإن لم يكن ناقماً عليكم غـــير توبيخه لكفيتم هواناً.

وليس هذا فلسفةً مني ولا تكهناً ولا ادعاء علم غـــير مباح، بل هو عامل طبيعي يناوبني بوخز الضمير كلما مـــر خيال هذه الذكرى، وأظنني أقل نصيباً وأيسر توجعاً ممن هو أسدُّ مني رأياً وأصلب ديناً وأحس شعوراً وأطهر وجداناً.

فيا أنصار الدين ويا حماة الحقيقة ويا حفظة الأسرار، ألستم المسؤولين عن هذه الوديعة المسلمة إليكم، ألستم المقلدين بإنفاقها حيث الواجب...

وربما أنكر علي أحد الإخوان هذا الاقتراح ناسبا إياي لزعامة الرأي، فإنني بمعزل عن الزعامة ولست منها في شيء، وتاريخ حياتي المادية تصدقني القول، وإنما دعاني لهذا عامل الغيرة، عملاً بقوله تعالى: ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[1]، فعسى أن تصادف قبولاً بصدق نية المصلحين، والله ولي المتقين.

أقول: إن مَن يقرأ نصيحة هذا العالم الكبير، ويعي ما فيها، يعلم تمام العلم أنه وإن كانت أعيان العلماء مفقودة، إلا أن تعاليمهم ووصاياهم باقية لا تزول، فكل كلمةٍ خرجت من أفواههم الشريفة تُعدُّ منارةً تضيء للناس عبرَ الأزمان المتعاقبة، يهتدي بها أقوام، ويتغافل عنها أقوام، وحقاً إن مَن نظر إلى حالتنا اليوم يعلم يقيناً كم نحن بحاجة إلى أمثال فيلسوفنا الشيخ يعقوب الحسنقدس سره، انظر إلى هذه النصيحة، وكأنَّ كل

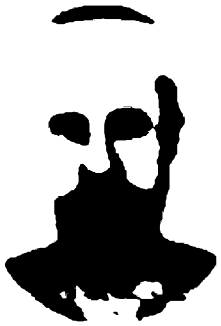
(١) (الذاريات : ٥٥)

كلمةٍ منها مرآةٌ لما يجري اليوم وفي عصرنا هذا تحديداً، إن دعوة الشيخ يعقوب الحسن تدعو العلماء لأن يقوموا بواجبهم المقدَّس ليست منحصرةً في علماء عصره وحسب، بل إنها دعوةٌ عامة لكل من يجد في نفسه القدرة على الإصلاح، وفي أي عصرٍ من العصور، ولو كان بيننا الآن لما زاد حرفاً على هذه الوصية .. وكم فيها من اللوم والتقريع للمتقاعسين عن أداء حقوق الله .. وكم يشعر المرء عندما يقرأ هذه النصيحة بالضّعة والهوان جراء الحالة التي وصلنا إليها .. فلا مرجع ومرجعية، ولا مدارس تدرِّس الفقه الجعفري والقرآن الكريم، ولا مجلة تصدر باسمنا، ولا مَن يمثلنا .. والأغرب من ذلك كله قول مَن يقول : إننا في أحسن حالة، وبقاؤنا على هذه الحالة أفضل من التوحد والتجمع والتنظيم، بل البعض قد فقد الإحساس تماماً، فلا يشعر ولا يحس أو لا يريد أن يحس بالدون الذي نعيشه، وصدق القائل:

مَن يهن يسهل الهوان عليه   ما لجرحٍ بميتٍ إيلامُ

وليتَ أصحاب الكلمة ينهضوا ليقولوا كلمة الحق، ويأخذوا مكانهم اللائق بهم، ويزيحوا من الساحة أولئك

المدَّعين، الذين استغلُّوا خلو الساحة من الفرسان، فتلبّسوا بلباس الدين، وتلقبوا بألقاب المؤمنين، وواحدهم لا يميز التين من الطين .. وقلةٌ قليلة تقوم بمحاولاتٍ فردية في سبيل الإصلاح وإعادة الأمور إلى سابق عهدها، ولكنها تحتاج إلى التنظيم والجرأة وكثرة المناصرين .. ها هو العلامة الشيخ يعقوب الحسن .. ها هو العلامة الشيخ سليمان الأحمد .. والشيخ إبراهيم عبد اللطيف .. والشيخ صالح الحكيم .. والشيخ عبد اللطيف إبراهيم .. والشيخ عبد الهادي حيدر .. وكل أولئك العلماء العظماء العلماء .. ها هم يدعونكم أيها الشعب المؤمن ومن تلك العصور الغابرة .. عبرَ رسائلهم ونصائحهم ووصاياهم .. يدعونكم للاستيقاظ والتنبه والحذر .. والقيام بدوركم كما تعلمتم وآمنتم .. فإن الأمر عظيم .. والقادم أعظم ..



الفصل الثاني

قراءة في البيان أعلاه

الذي قدمه العلامة الشيخ عفيف أحمد

دوعد عز الدين

الفصل الثاني

قراءة في البيان الهام

الذي قدمه العلامة الشيخ يعقوب الحسنة

دفاعاً عن الدين

يقول العلامة الشيخ يعقوب الحسنة في مقدمة مقالته وبيانه:

«وقبل الشروع بهذا المبدأ القريب الباب أقدم بياناً للقارئ الكريم، وهو أنني بعد أن وفقت بإحراز طرف من قواعد اللغة مطالعة بدون أستاذ ونظمت بعض قطع من الأشعار على الأسلوب القديم ثم طالعت بعض الأسفار التاريخية، ووقفت على البعض من حقائق الأديان القديمة وأسماء مصلحيها وحصلت على ما وفقت لالتقاطه من شذور أسرارها عزمت بعد التوكل على الله تعالى على تناول ما جاء في هذه النظريات التي ظهرت في أوربا وغيرها والتي تنكر صحة الدين وتحاول طمس حقائقه الباهرة. وحاولت البرهنة على تأييد الرأي الذي يلائم التوحيد. وذلك خدمة للدين وأهله لا لفخر أعجب به، إذ لا ينبغي

لمثلي حق الفخر لقصر الباع وقلة الإطلاع، بل جعلتها خالصة لوجه الله الكريم أرجو بها الأجر عنده وحسبي به مثيباً».

وفي هذه المقالات يعرض العلامة الشيخ يعقوب الحسنقدس حقائق كثيرة عن مصادر متفق على صحتها بين جمهور كبير من الأدباء والكُتاب والباحثين، واعتمد على مراجع مشهورة في عالم الطباعة اشتهار مؤلفيها في ميادين الحكمة والآداب، وبتواضع لا نظير له.

ونريد أن نشير إلى عدة نقاط مهمة تطرّقَ إليها الشيخ يعقوب الحسن في مقالاتهقدس :

أولاً ـ الأسلوب العلمي الذي انتهجه الشيخ يعقوب الحسنقدس في كتاباته:

فقد اتبع الشيخ يعقوب الحسنقدس أسلوباً جديداً في الكتابة، فعادةً يعتمدُ رجال الدين على الأدلة النقلية من النصوص الدينية لإثبات الحقائق، فيعرضون النص ويفسرونه، وعلى الآخرين الالتزام بما جاء به فهموا أم لم يفهموا، أما الشيخ يعقوب الحسنقدس فقد أتى بسلاح جديد، وهو الدفاع

عن النص بالأدلة العقلية، من دون تغيير النص، والشاهد يكون من عصره، ومن الواقع، فالهجمة التي تعرضت لها منطقتنا من الغرب كان لا بد أن يتصدى لها العلماء، وخصوصاً أنها أوهمت الكثيرين من الناس بأن العلم يتنافى مع الدين، وأن الإله مجرد وَهْم خلَقه الإنسان من نفسه، فأتى الشيخ يعقوب الحسن قدّس سرّه بأقوال كبار علماء وفلاسفة الغرب الملحدين، وعرضها على الحقيقة والواقع، وكشف متناقضاتها، متبعاً القاعدة: « **من فمكَ أُدينكَ** » ، ليخلصَ إلى حقيقةٍ واحدة، وهي أنه لا يمكن لإنسان أن يكون بلا دين، وهنا لا يتكلم الشيخ يعقوب الحسن قدّس سرّه عن الدين الإسلامي حصراً، وإنما عن كل الأديان السماوية وغيرها، فأي إنسانٍ يدين بدين يقوم على معرفة الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هو خيرٌ ممن لا يدين بشيء، وحتى أولئك الذين ادعوا أنهم تخلَّصوا من الإله لم يتخلصوا منه حقيقةً، وذلك أن الدين فطرة الله التي فطرَ الناس عليها، فهم في فطرتهم يعبدون إلهاً ولكن لا يشعرون، والقرآن الكريم يعرِّف معبودهم بالآية الكريمة: ﴿ **أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى**

سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾[1]، فهو عابدٌ لهواه، يأتمرُ بأمره ويطيعه طاعةً عمياء، هذا هو الإنسان، برزخٌ بين الوجوب والإمكان، إما أن يتبع الحق، وإما أن يتبع الباطل، وليس بينهما فاصل، وإن قال: أنا على الحياد، فهو على الباطل، ولكن لا يشعر.

ثم إن الشيخ يعقوب الحسن بيَّنَ أن الدين هو علة صلاح الإنسان، لا العكس، والدين لا يقفُ عقبةً أمام تطور الإنسان، بل قد حثَّ على العلم ودعا إلى طلبه ولو كان في أقصى الدنيا، أما العلَّة كل العلة، فهي في مَن يمثِّل الدين، أي القائمين عليه، فإن أحسنوا تمثيله وتطبيق تعاليمه على الوجه المفروض، مالت إليهم الناس حسب معادنهم، وإلا فالقائمين سببٌ رئيس من الأسباب الداعية إلى النفور من الدين.

ثانياً ـــ الفلسفات والقوانين الوضعية :

أوضحَ الشيخ يعقوب الحسن تَدَّسُّ في مقالاته أن الفلسفات التي أتى بها المفكرون عبرَ العصور والتي أصبحت شبه عقيـــدة أو ديناً عند بعض الناس، فيها جانبان، جانب خيِّرٌ فيه صلاح

(١) (الجاثية : ٢٣)

للإنسان ودعوة إلى مكارم الأخلاق، وجانب مُظلم فيه الكثير من المغالطات ولا يوصل إلى الحقيقة، ولا يكشف عن الأمور الغيبية بشكل قاطع، وهذا الجانب هو سيحه أفكار الناس، أما الجانب الخير فهو مستمدٌ من شريعةٍ من الشرائع الإلهية ولكن بشكلٍ خفي، فالأخلاق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وما إلى ذلك لم تأتِ إلا من السماء، ومن ثَمّ ومع مرور الزمن أصبحت عادات عند بني البشر.

وهذا الأمر ينطبق على القوانين الوضعية، فالقوانين الجيدة التي سنَّتها أكثر دول العالم إلحاداً، مددها من الدين لا ينكر ذلك إلا جاهل، فمعاقبة السارق والزاني والمرتشي وشارب الخمر لم يأتِ بها سوى الأنبياء، وإن اختلفت كيفية إقامة الحدود .. وكذلك حماية حقوق الإنسان، والمنظمات الإنسانية وغير ذلك من المنظمات التي في ظاهرها دعوة إلى الوئام بين البشر ونبذ التفرقة العنصرية والطائفية والعرقية والدينية .. كل ذلك أتت به الشرائع السماوية وزيادة عليها الكثير من الأمور الإصلاحية التي لا تُحصى.

سنتنتج من ذلك أن الجزء المهم من الفلسفات البشرية والقوانين الوضعية أساسه سماوي، أما الباقي فمن جهل البشر، ولو امنوا بالدين الحق وأزاحوا الغشاوة عن أعينهم، والعوائق التي تقفُ سداً منيعاً بينهم وبين الدين، وتصالحوا مع أنفسهم، لوجدوا أن كل الأمور الجيدة التي يسعى إليها الإنسان هي من صميم الدين، فما السرُّ إذن في الدعوة إلى الإلحاد، سيكون الجواب مُذهلاً، ولكنه الحقيقة التي عميَ عنها الكثيرون، وهي أن للسياسة العالمية الدور الأكبر في نشر الإلحاد، وذلك لمعرفتهم المسبقة ـــ كإبليس ـــ بأن الإنسان عندما يتخلى عن دينه يصبح عرضةً للأهواء، ويسهل التحكم به والسيطرة عليه، ولو أن كثيراً من الحكام عبر العصور طبقوا الدين لما وصلت أمتنا إلى وضعها الراهن، ها هو إبليس يصرخ بملء صوته: ﴿ لأغوينّهُمْ أجْمعِين ﴾[1]، واستثنى مَن أقامَ الدين على الوجه الصحيح، فقال: ﴿ إلّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾[2]،

(١) (ص : ٨٢)

(٢) (ص : ٨٣)

والإشارة واضحة جداً فيمن يمثل إبليس في عصرنا، ومن هم أهل الإيمان الخُلَّص.

ثالثاً ــ وحدة الأديان في الجوهر:

أكَّدَ حُجَّة الإسلام العلامة الشيخ يعقوب الحسن ﷺ في مقالاته أنَّ الأديان في حقيقتها وجوهرها واحدة، لا انفصام فيها، وذلكَ أنَّ ما دعا إليه سيدنا موسى/ع/ من التوحيد وطاعة الأنبياء ومكارم الخلاق هو عين ما دعا إليه سيدنا عيسى/ع/، وكذلك ما دعا إليه سيدنا محمدﷺ، ولم يُسمع أن نبياً من الأنبياء دعا إلى إلهٍ غير الإله الذي دعا إليه نبيٌّ آخر، وإنما الاختلاف شكلي، وذلك حسب مستلزمات العصر الذي يكون فيه ذاك النبي.

رابعاً ــ الدين الإسلامي :

وقد خُتمت الشرائع السماوية بشريعة سيد الأنبياء والمرسَلين محمدﷺ، وهذه الشريعة وإن تكن قد نسَخت ما قبلها من الشَّرائع شكلاً، إلا أنها لم تنسخ العقائد التي أتى بها الأنبياء، والذي نراه من فساد العقيدة عند البعض ما هو إلا من أساطير البشر وتحريفهم الكتب السماوية.

والشريعة الإسلامية احتوت في جوهرها جميع ما أتى به الأنبياء، وزادت عليها بالتفصيل والتبيين والتوضيح، بحيث تكون هي خاتمة الشرائع، والتي تصلح لكل الأزمان، ولا تحتاج إلا للتطبيق الصحيح.

وبما أن مَن يقدر على التطبيق يجب أن يكون معصوماً، وهم أهل بيت العصمة ومعدن الرحمة﴿ع﴾، وبما أنهم قد عُزلوا من المنصب الذي نصبهم فيه الله وذلك في انقلاب السقيفة، ونتج جراء ذلك ما يعلمه الجميع من تخلفٍ وجهل وسفكٍ للدماء بين المسلمين عبرَ تاريخٍ طويل، حتى وصلنا إلى هذه الحالة المزرية والتي يندى لها الجبين.

فلم يبقَ إلا التمسك بالثقلين ريثما يظهر الإمام الحجة محمد المهدي المنتظر /عجّل الله فرجه الشريف/ ليُقيم دولة العدل الإلهي على الأرض، ويطبق أحكام شريعة جده محمدﷺ التي هُجِرَت من قبل الكثيرين. ومولانا القائم/ع/ لا يأتي بشريعةٍ جديدة، وإنما يطبق الشريعة الخاتمة، ويعيد الحقَّ لأهله، ويملأ الدنيا قسطاً وعدلاً، بعد أن مُلئت جوراً وظلماً من

اللحظة التي انتقل فيها رسول اللهﷺ إلى الرفيق الأعلى وحتى يومنا هذا.

وبهذا يكون الإسلام الصحيح هو الإسلام المتمثل بأئمة أهل البيتعليهم السلام، وهو الإسلام الذي تضمّن في جوهره حقائق الأديان السماوية، ومحاسن الأديان الوضعية، وعند ذلك لا يجوز اتّباع دينٍ غير هذا الدين، قال تعالى: ﴿ ومن يبتغ غير **الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخاسرين** ﴾[1].

هذا خلاصة ما أرادَ العلامة الشيخ يعقوب الحسن كشفه وتبيينه وتوضيحه، لتُحل بهِ مُشكلات الناس، وتُزاح حجب الأوهام عنهم.

وفيما يلي مقتطفات من المقالات الهامة التي جاءت في البيان التاريخي الذي دافع فيه العلامة الشيخ يعقوب الحسن عن الدين والتدين:

---

(١) (آل عمران : ٨٥)

في الحقيقة

أكد العلامة في مقدمة بيانه: « **إن الحقيقة هي الـــتي لا تتغير بتغير العصور والأزمنة، ولا تختلف باختلاف الأجناس والأمكنة، وإنما الاختلاف الواقع على الصفات العرضـــية والتقاليد الوضعية التي وضعها الإنسان منذ القدم، وتلونت صبغتها وتطورت تقاليدها بإصلاح الدعاة بتطور الأزمنـــة لموافقة الأخلاق والظروف التي تقتضيها المصلحة البشرية** ».

ثم يصف الحقيقة فيقول: الحقيقة هـــي معرفـــة الجـــوهر اللاهوتي والقوة الخالقة التي هي روح الكون وأسُ الحركـــات وعلة العلل التي من حركتها وجـــود الموجـــودات العقليـــة والحسية، وقد تضاربت الأقوال واختلفـــت الآراء في كيفيـــة حركتها فمنهم من قال: إنها نار منبثة من مركز الكون ومنها تنبعث الحياة والحركة ومادتها تشبه النور وهي مبدأ الكون لا تتأثر ولا تقبل المتلاشاة ولا يدركها العقل وهذا ما قـــال بـــه فلاسفة اليونان، ومنهم من قال إنها الهواء، ومنهم من قال إنها ماء. ويُنسَب إليه قوام الحياة، ومن قائل إنها الأثير كما قـــال أحمد مرتأين:

هو الكلُّ في كـلٍ معيـداً ومبـدئا ... وما نحنُ فيه إلا مـن صـورِ الفنـا

وليـس فنـاءً مـا نـراه وإنمـا ... هو العودُ للأولى والبعـثُ لـلأُلى

مضوا فحيينـا وانقضـينا بعودنـا ... إليهم وغيرُ الكُلِ ليس لـه البقـا

وهناك من يقول: إنها الطبيعة ويصفها بالأزلية والأبدية وينسب القوة إلى ما وراءها إذ هي من حركتها كما قـال: هكسلي[1]: لا أقدر على أن أتصور وجود المادة مـن غـير وجود عقل يكيف صورة وجودها، لأن وجود العلـة الأولى من المسائل التي لا تدركها عقولنا القاصرة، وقول **سبنسر**[2]: إن ما وراء الطبيعة قوة يستحيل على العقل البشري إدراكها، لأن العقل مُقيد في بحثه بقيود لا يستطيع حلها، فما استطاع العقل إدراكه فهو محصور في العلل الثانوية والغايات الثانوية، أي في الأسباب التي نراها مباشرة للمسببات وفي النتائج الـتي

---

(١) **هاكسلي، أولدوس** (١٨٩٤ ــ ١٩٦٣): كاتب وناقد إنكليزي، صاحب روايات لاطوباوية، مؤلفه الأساس (العالم الجديد الرائع).

(٢) **هربرت، سبنسر** (١٨٣٠ ــ ١٩٠٣) فيلسوف وسوسيولوجي إنكليزي، من أبرز أعلام الوضعية، مؤلفه الأساسي (مذهب الفلسفة التركيبية)

نراها تنتج عنها وهكذا، فكل من هؤلاء اعترف بوجود القوة الفعالة ناسباً إليها الفعل، وإن تعددت أسماؤها بتعدد المعتقدات فالحقيقة ذاتها لم تتعدد، ويستشهد بقول العالم الصوفي المكزون ﷶ:

فيها تعددتِ القلوبُ على الهوى   وتعددت أهواؤهم فتعددوا

العبادة وما يختصُّ بها

يعرفها العلامة الشيخ يعقوب الحسن ﷶ، فيقول: « **هي الإقرار بوجود هذه القوة الأزلية والخالق العظيم والعمل بأوامره ونواهيه وتصديق دعاته وإخلاص الطاعة بصدق النية وصحة الاعتقاد لقبول هذه الأوامر المفروضة التي هي من أصل العبادة وأساس التدين علمياً وعملياً، لبيان الفرق بين الطاعة والمعصية، ويتفرع عن هذه الأصول ما وافقها من أقوال الدعاة الصادقين، وما سوى ذلك يعد أوهاماً لا حقيقةً** ».

في الأنبياء ﷺ وصدق دعوتهم

يؤكد العلامة الشيخ يعقوب الحسن: « إن دعوة الأنبياء أمر حقيقي لا يتخلله الوهم والخيال، وهو من الأمور المسلمة بالأدلة العقلية عند ذوي العقول السليمة، ويستدل على ذلك بتفاوت الحواس الظاهرة كالسمع والبصر والشم واللمس والذوق، فإن الأعمى لا يتصور الألوان والأبعاد، والأصم لا يتصور الأصوات، لأن الأصوات وإن تكن أموراً وهمية لا شكل لها، ولكن لها صورٌ وهمية في ذهن الذين يسمعونها، ولولا ذلك لم يكن تمييز بين الألحان وطبقات الأنغام، وفاقد اللمس لا صورة للنعومة أو الخشونة عنده، ولا فرق لديه بين الصلب واللين، والأخشم لا يميز بين الروائح الكريهة والطيبة، ولا يعرف لها صورة في ذهنه، ويقال في مثل ذلك في الذوق وغيره، وفاقد الحواس فاقد التصور، وتتفاوت الحواس أيضاً مع الذين لا يفقدونها، فبعض الأفراد يرى عن بعد ما لا يراه الألوف من الناس، وينظر الأشياء الدقيقة التي يعجز عن رؤيتها غيره، والبعض يمتاز بحاسة السمع فيسمع

أصواتاً لا تسمعها حاسة غيره، ومثله التفاوت في الشم والذوق، ومثل تفاوت الناس في الحواس تفاوتهم في الإدراكات الفكرية، فإن المفكرين الذين اكتشفوا أسرار الطبيعة واستخدموا قواها للمنفعة العامة وأدركوا المرور على صفحات الماء وطافوا طبقات الهواء بقوة البخار وولدوا النور من الكهرباء واخترعوا الآلات الميكانيكية على اختلاف أنواعها التي لو كُلفنا بتركيب أية آلة من الآلات التي اخترعوها لوقفنا حيارى مبهوتين للعجز عن تركيبها، فكيفَ الذي تصورها وأبرزها من صورة الخيال إلى حيز الوجود ومنْزلة الحقيقة، فل لنا أن نقول إننا ندرك ما أدرك هؤلاء، كلا بل نعترف أن إدراكهم فوق إدراكنا، وأفكارهم أسمى من أفكارنا، وإذا ادعينا غير هذا فالامتحان أعدل شاهد، وكنا نسمع عن اختراعات "ريط" مخترع البالون، و"مركوني" مخترع التلغراف واللاسلكي، و"اديسون" مخترع الكهرباء، فنعدها من المستحيلات لخروجها عن حد تصورنا حتى شاهدناها رأي العين. فما قولنا بمن هم صفوة الله من خلقه وأقربهم إليه وسيلة وأجمهم لديه منْزلة وهم الأنبياء، فإنهم ألهموا ما لم يلهم البشر

وأدركوا ما لم يدركونه، وقد تنبؤوا بما شاهدوه أو سمعوه أو أُوحي إليهم، فوقعت أقوالهم موقع الاستغراب لخروجها عن حدود التصور، وسبب استغرابها قصر أفهام البشر عن إدراكها، ولذلك اختلفت الأحزاب بتعليلها فقال قوم: إنها حقٌّ عارٍ عن التمويه والشبهات، وقال آخرون: إنها خرافات لا تطابق مجريات الطبيعة كما كنا نزعم عند ذكر الاختراعات الحديثة أنها ضرب من المستحيل لخروجها عن حد تصورنا، وقالت فئة: إنها وُضعت لأغراض شخصية، وهذا مدفوع قولاً وفعلاً، إذ يظهر من ترجمة حياة كلٍ منهم أن غاياتهم كانت الدين لا الدنيا، ويستدل على ذلك من أقوالهم وأفعالهم، فأقوالهم الإقرار بوحدانية الله والأمر بطاعته، وأفعالهم التقرب إليه بعمل الخير واجتناب الشر والزهد بمتاع الحياة الزائلة والرغبة في ثواب الآخرة، ولم يؤمروا بأمر إلا وعملوا به، وإنهم وكانوا يعتقدون ما يقولونه كل الاعتقاد حتى كانوا يعرضون أنفسهم لخطر الموت والعذاب تمسكاً برأيهم وانتصاراً لما يعتقدون صحته .. ولذلك فإن من أنكر تعاليمهم النافعة وإصلاحاتهم الجامعة كمن أنكر الشمس وتأثيراتها في نمو

الحياة، إذ لا يخفى ما لهم من الفضل والفضيلة على الجامعة الإنسانية، وإن جميع الشعوب مدينون لهم مادياً وأدبياً، فهل من الصواب أن ننكر عليهم هذا الفضل ونبخسهم هذا الحق المقدس؟ وهل من الواجب أن ننكر ما للمخترعين وأصحاب الاكتشافات من الفضل ونبخسهم حقهم ؟ كلا، بل نقول إن هؤلاء كان جُل مُناهم حب الشهرة والمنفعة العاجلة... أما الأنبياء عليهم السلام فقصاراهم المنفعة العاجلة والآجلة معاً أي المادية والروحية، وقد يُستغنى عن العرض بالجوهر ولا يعكس، كما لا تقاس الأعراض الزائلة بالحياة الأبدية والنعيم الخالد، يقول فيلسوفنا المكزون قدس سره:

عَرضُ الحياة أقل مـا يسـعى لـه من جوهر العليـاء بعـض طلابـه
ومواسم اللذاتِ في عمـرِ الفـتى كالبرقِ أومض من خِلالِ سـحابه

وفي الختام يؤكد الشيخ يعقوب الحسن قدس سره: أن أحلام الأنبياء وإلهامهم ومناجاتهم كلها صحيحة لأنهم يتحلون بالصدق والإخلاص والتفاني بطاعة الله، لذلك فإنه يوفيهم حق الطاعة ويستجيب لدعواتهم، فإن قالوا قولاً خارقاً فبإلهامه

وأن أظهروا معجزة فهي بفعله ومشيئته إذ هو القادر على كل شيء فتكون الكرامة للشخص الذي تبدو المعجزة على يديه ونسبة الفعل للقادر من غير أن يشارك به أحداً من خلقه، والذي أوجد هذا الكون البديع وأتقنه بحكمته الفائقة فلا يعجزه خرق نظامه إذا شاء أيستحيل عليه تحويل العصا ثعباناً والماء دماً والعين العمياء مُبصرة كلا، فإمكان المستحيل واجب بحقه تعالى. يقول ((هكسلي)) أحد علماء الطبيعة: إني واثق بأن الحكم الإلهي عادل وإن كل ما قيل عن المعجزات ممكن ولا يوجد ما يمنع الخالق من تغيير نظام الكون وقلب كل ما فيه رأساً على عقب وقت ما يشاء.

ثم يؤكد العلامة الشيخ يعقوب الحسن﴿قدس سره﴾: أن الأنبياء قادرون على مناجاة خالقهم ولحيازتهم كل فضيلة ونزاهتهم عن كل شائبة فأعلى من أن يتصوروا الأوهام الخيالية كغيرهم وذلك لقربهم من الله الخالق القادر. وعلو منْزلتهم لديه وتفانيهم بطاعته فيكون هو ذاته المخاطب لهم أو الموحي إليهم فلا ينطقون إلا عنه فيكون قولهم قوله وأمرهم أمره ونهيهم نهيه إذ لا يصدر عنهم إلا ما علموا منه حقيقة.

القول في عوامل التدين وضرورياته في المجتمع الإنساني

يعرِّف العلامة الشيخ يعقوب الحسن تدّمّ التدين بقوله:

التدين ونريد به العمل بأحكام الدين والشرائع المقدسة وأجلّها الإيمان بالله ورسله والتقوى وطاعة الله واعتقاد الثواب والعقاب، فالدين هو العامل الوحيد في الهيئة الاجتماعية لا كما زعم اللادينيون أنه أصل الفتن وآفة الشرور وهو وهم وباطل، فإن الناس إذا أُطلقوا من قيود الدين ضعف إيمانهم ومات ضميرهم وأصبحوا فوضى لا زاجر لهم .. والدين هو الرادع الوحيد لتلك المطامع .. وإن التدين وحسن العقيدة ضروريان لقوام الهيئة الاجتماعية، وأسعد الأمم حالاً أحسنها عقيدة وأكثرها خوفاً من العقاب وطمعاً بالثواب، ومما تجدر الإشارة إليه أن بعض الذين لم يدركوا من العلم إلا قليلاً يعتقدون أن الكفر من ضروريات العلم، فلا يرون حاجة إلى الإقرار بالقوة الخالقة، ولكن لو سألتهم عن مبدع هذا الكون لضاقوا ذرعاً وعجزوا عن تفسير ذلك، ويكفي من فضل الدين حفظ علائق الناس بردع الأشرار عن شرهم وإيقاف

المستبدين عند حدهم، وقد يظن آخرون أن الحكومة تغني الناس بما تسنُّه من القوانين القاضية بعقاب الجاني وردع القوي عن الضعيف، ولكنها لا تحكم إلا فيما يبدو لديها من أعمال الناس ومهما بلغ من تيقظها وعدالتها لا ترد من الحقوق إلا قطرة من بحر لأنها لا تطلع إلا على جزء صغير من الحوادث، فكم في طي الكتمان من المنكرات التي ارتكبها البشر ولا رقيب عليهم، وكم في عالم الغيب من سرقات وجرائم ومظالم وفظائع ارتكبها بعض الناس ولم يعلم بها أحد سواهم، وعلى هذا فالحكومة هي الوازع الأصغر الثانوي، وأما الوازع الأكبر الرئيسي فهو الدين، فهي تحكم على ظواهر الأعمال وأما ما بطن فلا رادع يردعه غير الضمير المغذى بلبان الدين، ذلك القاضي الصارم الذي لا يقبل الرشوى ولا يعرف التملق، والضمير هو نتيجة للتربية الدينية وهو إذا تغذى بلبان الآداب أغنى الحكام عن جمودهم والقضاة عن شرائعهم وقوانينهم، وكفى به حاكماً وقاضياً عادلاً، وإن القضاة وحكم القانون لا يغنيان عن حكم الضمير شيئاً، يكفيك في ذلك اختلاف الناس في نصوصهم أمام القضاة واختلاف القضاة بقضية

واحدة، وبالجملة فإن الإنسان ميَّالٌ بطبيعته إلى الشر وحب الانتقام، والدين وحده هو الذي يمنع الإنسان من الانتقام ورد الحكم إلى الله، وتأسيساً على ذلك فالدين هو عدو الشر وخصم الاستبداد وضد الظلم وقيد الفجور، وهو قسطاس العدل وأساس العمران ونور الإصلاح .. ويزعم البعض أن الدين هو حجر عثرة في سبيل الرقي والعمران ولكن ذلك كله افتراءات، فلولا الدين لما تقدمت الإنسانية قيد أنملة نحو التحضر، وديانات الفرس والهنود والمصريين وغيرهم خير شاهد على ذلك، والعرب أيضاً لقد كانوا قبل الإسلام يعيشون حالة التوحش لعدم الرابطة الدينية، وبعد الإسلام حلَّ الأمن والسكينة والعدل ووصلوا إلى مكانة حسدتهم عليها الأمم وأصبحوا بعد الإسلام دولة عظيمة قوضت أركان دولتي الفرس والروم وبسرعة لم تخطر ببال أحد. ورب قائل يقول بعد ذلك كله أن الدين أساس الشقاق وأصل الفتن، ومن قائل إن القوانين المدنية تغني عن الدين، ولكن كما قدمنا فإن القانون لا يحكم إلا على الظاهر من الأعمال، وأن القوانين مأخوذة عن أحكام الدين وإن تلونت بالصبغة السياسية فهي

قبس من جذوة الدين، والقانون الأول هو الذي أسسه الباري تعالى حينما قال لآدم: من جميع أشجار الجنة تأكل أما شجرة معرفة الخير والشر التي وسط الجنة فلا تأكل منها ومتى أكلت منها تموت.

في إثبات وجود الباري تعالى بالدليل والبرهان

يقول الشيخ يعقوب الحسن:

الدلالة على وجوده من طريق العلة والمعلول: فمن المبادئ التي لا تنقض أن لكل معلول عقلي علة عاقلة، فالساعة وجدت من فكر ثاقب تصوَّرها وأبرزها إلى حيز الفعل، فوجود الساعة يدل على وجود الساعاتي، ولو تركت وشأنها لم تقدر على بقاء تنظيمها من ذاتها بدون مراقبة الصانع، وعليه فإن الصواب وحكم الضرورة ينبئان عن وجوده تعالى من وجود مصنوعاته، لأن العقل يستدل على وجود الله من الموجودات والحقائق الموحاة، إذ يعلم أن العالم حادث وأنه لم يوجد من ذاته، لأن الحصول على الوجود حدث يقتضي له الفعل، فمن الضرورة إذن أن يكون موجود أول غير العالم

أخرجه من العدم إلى الوجود، ومن استحالة التسلسل إلاّ بما لا نهاية له يحكم العقل بنوره واستدلاله، إن هذا الموجود الذي أوجد العالم بما فيه هو موجود أول واجب الوجود بذاته وهو مبدأ كل موجود، وهذا الموجود الأول هو الذي نسميه الله وهو علة الكائنات وبهذه المناسبة يلزم بيان الفرق بين العلة والمعلول: إن العلة هي ما يصدر بقوتها شيء يقال له المعلول، وحقيقة العلة تقتضي،

أولاً ــ أن تكون العلة متميزة عن المعلول تميزاً حقيقياً.

ثانياً ــ أن تكون العلة أقدم من المعلول كالنار وحرارتها مثلاً، فإنهما توجدان معاً بوقتٍ واحد، غير أن الذهن يتصور وجود النار قبل حرارتها بأقدمية الطبيعة.

ثالثاً ــ أن يكون المعلول متوقفاً على العلة توقفاً حقيقياً لأنه إنما يصدر عن العلة.

وعلى هذا المبدأ لا معلول من غير علة أو لكل معلول علة.

في إثبات وجود الله بالبرهان النظري

إن لم يكن وجود واجب الوجود بذاته، لم يكن شيء من الموجود، لأنه لو فُرِضَ زمان لم يكن فيه شيء من الوجود، لَسُئِلَ: فمن أينَ نالت هذه الكائنات وجودها ؟ .. أفمن آخر، وإن هذا الآخر لم يكن فمن أين وُجدت، فلا يمكن افتراض حين لم يكن فيه موجود ولا شيء من الوجود، فيلزم إذن وجود موجود كائن من ذاته واجب الوجود ليمنح الوجود بسائر الموجودات الكائنة، وهذا الموجود الواجب هو الذي نسميه الله، فإذن الله تعالى موجود.

يثبت ذلك أيضاً من جهة العلل الفاعلية المترتبة على بعضها، لأننا نرى في المحسوسات نظام علل فاعلية مترتبة على بعضها كما يُرَى في توليد الحيوانات، ولكن لا يمكن أن يكون علة فاعلية لنفسه، لأنه إذ ذاك يكون قبل نفسه، وهو محال، وفي الجملة أن كل ما يُصنَع فإنما يصنعه آخر، فلا بد من إثبات علة فاعلية أولى، وهي التي نسميها الله.

ويثبت أيضاً من مراتب الكمالات، لأنه ثابت بالاختبار أن بين الكائنات تفاوتاً في الخير والحق والشرف وغيرها، وهذا

التفاوت سواء كانَ في العالَم الذهني أو في العالم الذاتي الثبوتي إنما يُطلَق على الأشياء بنسبتها إلى شيءٍ آخر مشترك معه كثيراً أو قليلاً في رتبة الكمال، فلا بد إذن من وجود شيء في غاية الكمال وهو غاية الخير وغاية الحق وغاية الشرف وغاية الكمال، لأن هذه الصفات متساوقة، وهذا الموجود الذي هو علة الوجود والخير والكمال لجميع الموجودات يسمى الله.

وهذا يظهر من العقل الإنساني بأجلى بيان، لأن عقلنا موجود وجوداً ذاتياً ــ أي حقيقياً ــ إلا أنه غير كامل في رتبة المعرفة، لأننا نعلم أشياء قليلة ونجهل أشاء كثيرة كما يشهد لنا ضميرنا ... ينتج من هذا وجود تعقُّل كامل للغاية، ومنه يستمدُّ عقلُنا وجودَه، لأن الغير الكامل وجودٌ ناقص ومُتناهٍ في رتبة الفعل، فيمكن أن يوجد أعظم منه.

وقد سبقَ الكلام أن التفاوت في رتبة إنما يكون بالقياس إلى شيءٍ سامٍ للغاية في تلك الرتبة عينها، ولا يقال للشيء ير كامل نهائياً إلا بالقياس إلى شيء كامل غايةً، وهو الذي يستمدُّ منه الكمال.

في إثبات وجود الله بالبرهان الطبيعي

المراد بالبرهان الطبيعي: هو المأخوذ من وجود هذا العالَم ونظامه، وعليه نقول:

أولاً ــ إن العالَم ليس واجب الوجود، لأننا لا نتصور شيئاً من موجوداته إلا وفي إمكان عدم وجوده، فالعالم إذن ليس له من نفسه السبب الكافي لوجوده، وعليه فيجب إذن أن نطلب السبب الكافي لوجود العالَم من خارج العالم، فيوجد إذن خارج العالَم وجود ممتاز عن العالَم، وهذا الوجود يسمى الله، فإذن الله موجود.

ثانياً ــ إن النظام الموجود في العالم يستحيل أن يكون العالم قد رتب لنفسه هذا النظام البديع الذي نراه في مجموع هذا الكون وفي كل أجزائه، كحركة الأفلاك ودوران الكواكب ونمو النبات وتوليد الحيوان وهلم جراً، فإن ذلك يقتضي له ثلاثة أمور ضرورية

١. عقل مُدرِك بعين الغاية المنساق إليها كل موجود.

٢. إرادة فعالة توجه كل الكائنات إلى تلك الغاية.

٣. قوة قادرة تجعل الحركة في جميع الأجرام التي هي غير مُقيدة طبعاً بحركة أو سكون.

فإذن لابد من وجود مرتبٍ سامٍ مغاير لمجموع هذه الكائنات المادية المتشعبة إلى أنواع عديدة مختلفة الطباع وأكثرها خالٍ من العقل والمعرفة، ومع ذلك هي متوافقة ومترتبة وثابتة على النظام الذي يسوقها إلى الغاية.

على أن هذا المرتب لا بد من أن يكون متصفاً بما يلي:

١. بعقلٍ سامٍ يحيط علماً بجميع التغيرات الممكن أن تطرأ على ما لا يُحصى من العناصر القابلة التغير والاختلاط والانحلال إلى أنواع شتى في مدة تكرار أجيال ودهور لا يحصي عديدها ليُمنع فسادها.

٢. بقدرة سامية تقوى على جميع القوى والموانع والعناصر المركب منها هذا الكون متفرقة كانت أو مجتمعة، وهذا المرتب الذي هذه صفته إنما هو المبدأ الأول الذي نسميه الله، فإذن الله موجود.

في إثبات وجود الله بالبرهان الأدبي

هذا البرهان يؤخذ من اتفاق البشر العام ومن الشريعة الطبيعية:

أولاً ـ إن جميع البشر المعروفين في كل جيل، أو على الأقل الحكماء والأدباء، قد اتفقوا في كل زمان ومكان على الاعتراف بوجود إله، وإن كان قد جرى بينهم اختلاف فالخلاف إنما هو واقع على معرفة الصفات الإلهية لا على وجوده تعالى، لأن وجود الألوهية أي وجود موجود أرفع من العالم وأفضل وأشرف من الإنسان قد اتفق عليه الجميع. ويشهد بذلك وجود الهياكل والمعابد والذبائح والضحايا وأصناف الابتهالات المتعددة كل أمة على تقديمها للإله فضلاً عن الكتابات المحفوظة في كل جيل تثبت الاعتقاد بوجود الألوهية.

ثانياً ـ الشريعة الطبيعية المتفق عليها جميع الأنام تثبت وجود الله، لأن اتفاق البشر بأجمعهم في كل زمان ومكان على وجوب محبة الوالدين وتحريم القتل والسرقة إلى غير ذلك لا يمكن قيامها والتشبث بإلزامها أمراً ونهياً إلا بافتراض وجود

موجود سائد على جميع المخلوقات، وعليه نقول: إن الله هو الموجود الغير محدود والغير متناه والثابت الغير قابل التغير والأزلي السرمدي المتأحد بصفات الكمال العالي عن الشبه والمثال.

في الرد على مَن أنكرَ صُنع الله وعجائب قدرته

إن أول إنسان نشأ في حضن الطبيعة أذعن لأول وهلة أن له مُبدعاً أبدعه وموجداً أوجده، وذلك للعجز الذي يطرأ عليه عند اهتمامه بأمر نفعه الذاتي، ودرء الكوارث الطبيعية عن نفسه مهما توسعت لديه الحيلة، وحصوله على ما لم يكن بحسبانه من غير رادع، وسقوط ما في يده بعد أشد الحرص بالرغم عنه، وإخضاعه مَن هو أشد منه قوة، فمن هذه النقائض ونظائرها عُلِم أن لهذه الإرادات الخفية والإلهامات الغريبة مريداً يرفها بمشيئته حيث الإرادة، وإذا ألقينا النظر في هذا الكون البديع وحققنا بعين البصيرة إلى ما فيه من إتقان الصنع والمحاسن والنظام الكامل علمنا بلا شك أنه صنع حكيم عاقل يفوق المعقولات فواقاً لا يُقدَّر في الذكاء والحكمة

والدراية .. ورغم كل هذه الحقائق فإن الماديين يزعمون أن هذا الكون وجد بالصدفة، وأن الأحياء تولدت ذاتياً، وأن تفرق أنواعها كان بحسب إرادة كل منها واكتساب معيشته، وأن أجزاء الحي لا توجد كاملةً دفعةً واحدةً عند التحول، وقد توصل علمهم في الأمور الطبيعية إلى النتيجة الكبرى، وهي أن القوة والمادة لا تنفصلان البتة، ولا نعلم بمادة مجرَّدة عن كل قوة أو حركة، ولا قوة أو حركة مجردة عن كل مادة... وعندهم أن السكون كالعدم لا يعقل، فما الذي حرَّكها؟ وقولهم: تحركت لسبب غير معلوم، فهذا نقض دعائم المادية، ثم إن السبب المجهول إن كان مادياً عاد الإشكال ووقع عنه السؤال، وإن كان غير مادي ففي الوجود غير القوة، وهو المتسلط عليها والفاعل لها، وهو الذي يؤلهونه أصحاب الأديان. وقول إمامهم **سبنسر** الذي سأل نفسه بحيرة: ما هي القوة التي نحتم ببقائها؟ أهي القوة التي تؤثر في عضلاتنا والتي تشعر بها حواسنا، كلا بل **هي تلك القوة المُطلقة المجهولة المستقرة وراء الصور المشاهدة، ونحن مع**

عدم إمكاننا إدراكها نتأكد أنها أبدية لم تتغير وكل شيء زائل ولكنها علة العلل الباقية إلى الأبد.

ومن الاختلاف الواقع بين المعطلين وتهور أرائهم بإثبات حقائق مذهبهم يظهر جلياً أن بناءه على قواعد غير ثابتة، وأن البناء المهدد بالسقوط عند اختلاف الرياح لا يُرجى له الثبوت لوضعه على أسس غير متينة، فانظر إلى قول هذا العالِم الذي هو من أكبر أئمتهم وحيرته وعجزه عن إدراك ما وراء الطبيعة، ثم انظر إلى هذه المادة التي نسبوا أنفسهم إليها، وفضلوا أن يُدعوا ماديين عن أن يكونوا إلهيين، وعظّموا المادة وكفروا بالله تعالى، إيماناً بها، وأثبتوا لها أخص الصفات الإلهية من الأزلية والأبدية، واتفقت آراؤهم على عدم ملاشاتها زمناً، ولدى الحقيقة أنكر هؤلاء وجودها وعدلوا عن المعبودة هذه إلى الأثير خادمها الذي لم يفرضوا وجوده أولاً، إلا أنه ميدانٌ لحركتها ومرآةٌ لمظاهرها، فلينتظر الأثير يوماً عبوساً يلاقي فيه ما لاقته المادة، فسوف ينْزلونه عن عرش الفاعلية ويسلبونه ردائي الأزلية والأبدية ويسحبونه قسراً إلى مشنقة الجزاء

والملاشاة .. فلتبكِ المادة على نفسها ولتظر الفرق بين يومهـــا وأمسها.

هذا والدين هو الثابت الذي لا يعتري حقائقه الـــزوال، ولا تتبدل على مرور العصور والأجيال، فكل حقيقة أخبر بها أول المرسلين يؤكدها خاتم النبيين، والجميع قد أخبروا بوجود الخالق العظيم ووحدة ذاته وبديع صفاته ووجـــود الملائكـــة وثبوت المعاد والحساب والعقاب إلى غير ذلك من الحقـــائق المعلومة من الأديان ..

ادعى **شارل بوشيت الألماني** أنه يقدر على خلق الأحيـــاء بالاختمار، فأنكر عليه الدكتور **باستور** أحد أنصار الدين هذا الادعاء، وطال الجدال بينهما واحتدم النِّـــزاع، فلمـــا رأت الأكاديمية الفرنسية إصرار الخصمين جعلت لمن يأتيها بالبرهان القاطع جائزة قدرها ٢٥٠٠ فرنك فرنسي، وضربوا لـــذلك موعداً بقدر مدة الاختمار حسب طلب **بوشيت**، فاستحضر الطبيعي المذكور على المعدات اللازمة للاختمار وأفرغ جهده وإمكانه أملاً بالشهرة والحصول على الجائزة، فلما كان اليوم الموعود حضر الاثنان مع حزبيهما من الـــدينيين والطبـــيعين

للأكاديمية، وقد ثبت الاختمار، فأخذ أنصار التولـد الـذاتي ينادون بالغلبة والانتصار، ولكن لم تدم لهم مدة الفـرح لأن الدكتور **باستور** أنكر عليه العملية بداعي أنها ليست من المادة القابلة للاختمار التي عُقد عليها الشرط، وأن الأحياء الموجودة في الزجاجة أُخذت من الخارج تزويراً، وأثبت عليـه ذلـك بالفحص والبرهان، وألزمه بإعادة اكتشافه، فأعـاد العمليـة مراراً فلم ينجح فأعلنت الأكاديمية الفرنسية فـوز **باسـتور** بالجائزة وفوزه على مذهب التولد الذاتي، ولا تسـأل مـاذا جرى لبوشيت المسكين من حرمانه الجائزة وخسرانه سمعـة الاكتشاف وخجل الغلبة لدى الأكاديمية وفوز خصمه وخجله لدى الماديين الذين علقت آمالهم بتجاربه ..

ومما يؤيد الدين ويثبت اعتقاد الموحدين اعتـراف أشـهر علماء الطبيعة وأكبر أساطين الفلسفة بوجود الخالق العظـيم لعجزهم عن إدراك ما وراء الطبيعة، فهذا **لامارك**[1] يسـلم

---

(١) **لامارك** (١٧٤٤ ــ ١٨٢٩): من علماء الطبيعة الفرنسيين، ألف دائرة المعارف النباتية، والتاريخ الطبيعي للحيوانات اللافقرية، شرح فيه نظرية التطور المعروفة باسمه.

بوجود الله وينسب إليه خلق ((الهيولى)) المادة الأولى المركب منها الكون، وهذا العالم لا يخالف أهل الدين في وجود الخالق بل يخالفهم في كيفية الخلق ..

وهذا **سبنسر** الذي يطريه أهل التعطيل غاية الإطراء، والذي قال فيه **برنارد**: إنه أعظم من قام في حجى وأوسع بني البشر عقلاً ونهى، وقال فيه الأستاذ مكوش الأمريكي: إن عقله جبار العقول .. يقول: إن إدراك الإنسان محدود، فإذا بلغ حده استحال عليه معرفة ما وراء ذلك، وأن في الطبيعة قوةً يستحيل على العقل البشري إدراكها، ويرد كل المسائل المتعلقة بواجب الوجود وعلة العلل والعلة الأولى والأخيرة إلى الدين أو إلى ما لا يدرك بالعقل البشري أو إلى ما وراء الطبيعة، لأن العقل مقيد في بحثه بقيود لا يستطيع حلها ولا يستطيع الوصول إلى كل الموجودات.

وحتى **دارون** والذي يعد مؤسس البيولوجيا الارتقائية العلمية وألَّفَ كتاب أصل الأنواع، اعتبر العلماء أن مذهبه ناقصاً وخطَّأوه أيضاً بقوله: إن أصل الإنسان والقرد من نوع واحد وذلك النوع انقرض.

أما هم فيقولون: إن الإنسان تسلسل من القرد رأساً وأقصى ما نقل عنه هو التحير بين وجود الصانع وبين صنعة الرحمانية لعجزه عن إدراك المصالح في خلق ما يرى أنه شرور.

وهكذا فإن ما يخالف الدين من هذه الآراء فأعظمها من مبدأ الإنسان، إذ المعلوم من أمهات الأديان الثلاثة أن أصل جميع البشر من إنسان ابتدع الله خلقه من التراب، ومن امرأة ابتدع الله خلقها أيضاً، ولم يكونا قبل ذلك حيواناً ولا نباتاً، فنوع الإنسان مستقل في الخلق عن سائر الأنواع ..

ومن العار الفاحش اقتياد البصير بالأعمى، وافتقار السميع للأصم، والعليم للجهول، وسؤال الخبير من لا خبرة عنده، واعتماد القوي على الضعيف الذي لا حول له ولا طَول، فأين هذا ممن ينادي سميعاً، ويسأل عليماً، ويدعو مجيباً، ويهتدي ببصير، ويعتمد على ذي قدرة قوية يحب الخير طمعاً بثوابه، ويجتنب الشر خوفاً من عقابه، يأنس به في الوحدة، ويفزع إليه في الشدة، ويستدل به في الحيرة، ﴿ **هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ** ﴾[1]، ﴿

---

(١) (الرعد : ١٦)

أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾[1]، يطلب الدلالة مع ملء الكون بالدلالات الواضحات والآيات البينات، ولو نزع قناع الغرور وخرق حجاب الإنكار وفكّرَ ملياً بما أودع فيه من الإبداع والإلهام الذي استخدم به معبودته الطبيعية لوجد نفسه أكبر دليل.

طلب الدليل على الضحى رأد الضحى يقضي بفقد ضياء عين الطالب

(المكزون)

ولبعضهم:

وليس يصح في الأذهان شيء إذا احتاج النهار إلى دليل

والرأي الذي هو عين الصواب الفرار من قلق هؤلاء إلى راحة الضمير على حد قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب/ع/ بمناظرته للملحد بقوله: « **إن كان حقاً ما تقول فقد سُعدنا وشقيت، وإن كان حقاً ما تقول فقد سعدنا**

---

(١) (الجاثية : ٢٣)

جميعاً»[١].

وعن هذه الجملة يقول **بلاير باسكال**[٢] الفرنسي قوله في ((كتاب الأفكار)): « الله إما أن يكون وإما أن لا يكون، لا يستطيع العقل أن يحكم في ذلك، فعلى أي الواقعين تراهن

---

(١) وفي **توحيد الصَّدوق**: حدثنا محمد بن علي ماجيلويه رضي الله عنه، عن عمه محمد بن أبي القاسم، قال: حدثني أبوسمينة محمد بن علي الصيرفي، عن محمد بن عبدالله الخراساني خادم الرضا/ع/، قال: دخل رجل من الزنادقة على الرضا/ع/ وعنده جماعة، فقال له أبوالحسن/ع/: **أيها الرجل أرأيت إن كان القول قولكم ــ وليس هو كما تقولون ــ ألسنا وإياكم شرعاً سواء، ولا يضرنا ما صلينا وصمنا وزكينا وأقررنا؟** فسكت، فقال أبوالحسن/ع/: **وإن يكن القول قولنا ــ وهو كما نقول ــ ألستم قد هلكتم ونجونا؟**.

(٢) **باسكال** (١٦٢٣ ــ ١٦٦٢): فيلسوف ديني وكاتب وعالم فرنسي، تطرق في أعماله إلى مشكلات الوجود البشري، مؤلفه الأساس (أفكار) وهو رياضي وأديب وفيزيائي، اخترع الآلة الحاسبة ونواميس ضغط الهواء والماء وتوازن السوائل، وضع الخطوط الرئيسية لكتاب في الدفاع عن الدين المسيحي، بعنوان (الخواطر) فكان لها تأثير واسع.

لا يمكنك أن تراهن على هذا الواقع ولا على ذاك تبعاً للعقل، فوازن بين الربح والخسران، بشرط أنك تخاطر بنفسك على وجود الله، فإن ربحت كان ربحك الكل، وإن خسرت فلا تضيع شيئاً، فراهن إذن على أنه موجود ولا تتردد».

وقد أخذ هذا المعنى أبو العلاء المعري من بحر النثر وسبكه في قالب النظم بقوله في اللزوميات:

قال المنجم والطبيب كلاهما لا تُحشرُ الأجسادُ قلت إليكما
إن صح قولُكُما فلستُ بخاسر أو صح قولي فالخسار عليكما

في حقيقة ما جاء به الفلاسفة المصلحون

إن التعاليم الإلهية والشرائع المقدسة قد أتى بها رسلٌ كرام وأنبياء حق من قبل الله بوحيٍ منه تعالى رحمةً منه وعدلاً، أولئك الأنبياء الصادقون الذين أدهشوا العالم بسمو أفكارهم وعظيم أعمالهم، أولئك الرسل العظام أولو العزم والعصمة والوحي مؤسسو الشرائع الذين ملأت تعاليمهم الخافقين، وأنارت شموس معارفهم ظلمات الجهل عن الجامعة الإنسانية على اختلاف أجناسها ولغاتها، وهم: إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وكالفلاسفة الذين تقدموهم بإنقاذ شعوبهم من هوة الجهل، وإنهاضهم إلى أوج الهداية كخريسنا وبوذا الهنديين، وهرمس المصري، وزردشت الفارسي، وفيثاغورث وأفلاطون وأرسطو اليونانيين، وليوشو وكونفوشيوس الصينيين، فأولئك الرجال الذين لا ينكر التاريخ أعمالهم العظيمة، ولا الإنسانية إرشاداتهم القويمة التي كلها ترمي إلى حقيقة واحدة وهي: الإقرار بوحدانية الله، وخلود النفس، والإيمان بالبعث، والأمر

بالمعروف والنهي عن المنكر، والتقرب إلى الله تعالى بالأعمال الصالحة، ومحبة الخير، واجتناب الشر.

التعاليم الهندية:

إن التعليم السري تأسست عليه أديان جميع الشعوب، ومن الثابت عند المؤرخين أن الأسفار الأولى التي هي أسفار الفيدا الهندية[1]، وهو الكتاب المقدَّس عندهم الذي تأسست عليه ديانة الهنود الحقيقية المجرَّدة عن كل الأهواء والمطامع البشرية.

إن التعاليم الدينية في كتاب الفيدا تعلم أولاً وحدة الله وهو العلة الأولى وهو أزلي سرمدي مُبدع الوجود حاضر في كل مكان منَزه عن كل كدر ووهم، وهو الحق بالذات، ومنبع كل عدل ولا شكل له ولا صورة ولا حد ولا جسم ولا نسبة.

---

(١) **الفيدا**: تُطلق على الكتب المقدسة عند الهندوس، وقد نُقلت لقرون طويلة على شكل تعاليم شفوية، ويرجع المؤرخون أن زمن تدوينها هو عام ٢٥٠٠ ق.م، وكلمة (فيدا) تعني المعرفة.

ومن أشهر المصلحين الهنود **خرسينا**، ومن تعاليمه الوصايا العشر: « **لا تعتقد اعتقادات باطلة، لا تقتل، لا تزن، لا تسرق، لا تشهد بالزور، لا تكذب، لا تحلف، تجنب كل كلمة نجسة، كن خالي الفرض، لا تأخذ بالثأر**».

ومن حكمه الأدبية:

- من ليس له سلطة على حواسه ليس بكفؤ للقيام بواجباته.
- كما يتقوى الجسد بالعضلات هكذا تتقوى النفس بالفضيلة.
- يجب علينا أن نقابل الإساءة بالإحسان.
- إذا عاشرت الصالحين فلا يفيد مثلك شيئاً فلا تخشى إذاً من مؤالفة الأشرار لتهديهم إلى الصراط المستقيم، إنما من الواجب أن نصنع الخير لمجرد الخير وثواب الإنسان ليس في هذه الحياة.

ومن المصلحين الهنود **بوذا**[1]، وقد ظهر في القرن السادس قبل الميلاد، وعندما بدأ دعوته لم يمس أسفار الفيدا وسار على

---

(١) **بوذا** : حوالي (٥٦٦ ــ ٤٨٦) ق.م، مؤسس الديانة البوذية، ولقب ببوذا أي النور.

نهج **خرسينا**، أما جوهر تعليمه فيتوقف على معرفة المكـــون الأزلي ومعرفة علم الطبيعة.

ومن تعاليم بوذا الدينية بعد الوصايا العشر:

إن علة الشر والأوجاع والموت والتناسخ إنما هي الشهوة أي ابتغاء الدنيويات فهي التي تقيدنا بالمادة وما غاية الحياة إلا إعتاق النفس من سلاسل الشهوة والسبيل إلى ذلك هو التأمل والقناعة والزهد في أمور الدنيا، أما الشر الأعظم فهو الجهـــل ومنه يصدر العذاب والشقاء.

ومن حكمه الأدبية:

- من ظفر بالحرب بمائة ألف رجل فهو لا شك بطل، إنمـــا أشجع منه من قهر نفسه.
- يوم واحد معروف في الحكمة وحُسن السلوك خير مـــن مائة سنة معروفة في عيشة البذخ والفساد.
- خير للمرء أن يعيش يوماً واحداً في سبيل الخلود من أن يعيش مائة يوم دون الافتكار في ذلك.

ديانة الكلدان والآشوريين والبابليين

إن هذه الشعوب كانت تعيد آلهة متعددة ولكنه أكد على أن أشهر ملوك البابليين هو **حمورابي**[1]، وبالرغم من تعدد آلهتهم إلا أنه قد وجد بينهم من يعبد إلهاً واحداً حقيقياً، فقد عثر في مدرسة ((أريدو)) على تعاليم تدعو إلى وحدانية الله وتقدم الصلوات لإله واحد لا بدء له ولا نهاية.

تعاليم المصريين والفينيقيين

إن المصريين القدماء كانوا يعبدون آلهة متعددة مثل الكوكب مثل إيزيس وأوزيربس، ويعتقد المصريون أن الآلهة نزلوا إلى الأرض لإرشاد البشر وتعليمهم والقضاء على الشرور وزرع بذور الخير وتحقيق المساواة.

أما الفينيقيون فكان لكل مدينة من مدنهم إلهاً خاصاً بها، ولو تأملنا في معبودات كل مدينة لوجدناها تضيف إلى البعل

---

(١) **حمورابي**: أشهر ملوك البابليين، قضى على الإمارات الصغيرة، وحقق وحدة بلاد ما بين النهرين (١٧٩٢ ــ ١٧٥٠) ق.م، وله شريعة متطورة اكتشفت عام ١٩٠٢.

والبعلة إلهاً ثالثاً، إذ كان لهم في صور بعل وعشتروت وملكارت وفي صيدا بعل وعشتروت وأشمون وعند مجيء الرومان ورسوخ قدمهم في بلاد الفينيقيين لم يعارضوا الفينيقيين في معبوداتهم بل اعتبروها نفس معبوداتهم.

التعاليم اليونانية

أول من اشتهر من الفلاسفة عند اليونانيين هو فيثاغورث[1] درس على يد العالم **يوفيلوس**، ثم رحل إلى جزيرة (اسكيروس)، وتلقى الفلسفة فيها عن الفيلسوف **أفريسيدس** وأقام بخدمته حتى توفي، ثم تتلمذ على يد **طاليس** الشهير بأبي الفلسفة والقائل بأن الماء أصل كل شيء.

كان محباً للفلسفة وتحمل مشاق السفر في التماسها فجاء فينيقية واختلط بكهنتها واطلع على أسرار جمعية الكبراء وجاء

---

(١) **فيثاغورث** (٥٧٠ ـ ٥٠٠) ق.م: مفكر يوناني مؤسس المدرسة الفلسفية الدينية المعروفة باسمه، وهو رياضي تفرغ لدرس الحكمة، وعاش مع أتباعه حياة مشتركة في الزهد، إليه يُعزى تقويم الحساب المعروف بجدول فيثاغورث في الضرب، قال بتناسخ الأرواح وبقيام حركة الكون على الأرقام.

أرض يهوذا وانتظم في جمعياتها السرية ودرس أسرار اليهود ورحل إلى مصر واجتمع مع أعضاء جمعية ((ايزيس)) ((السرية)) وإيزيس هو القمر بلغة الجمعية، ثم رحل إلى الهند وانتظم في جمعية ((الفقراء)) المسماة بالهندية ((الجنموسفونية)) وهي جمعية لا يبالي أعضاؤها بالآلام الجسدية ويعيشون عراة، فاقتبس علومهم وأسرارهم وعرج على بلاد الفرس والكلدان، فاطلع على علوم المجوس وأسرارهم، ولما تسنى له الإطلاع على أسرار حكماء عصره عاد إلى ((ساموس)) مسقط رأسه وأنشأ فيها مدرسة سماها مدرسة ((ساموس))، وقام ببث تعاليمه.

ومما جاء في تعاليمه:

إن فيثاغورث عجز عن تمثيل المعاني الكلية والأسرار الإلهية بألفاظ بسيطة، فعمد إلى التعبير عنها بالرياضيات ستراً على الحقائق، وإن أساس الرياضيات عند فيثاغورث الأعداد، فهي باعتباره مبدأ تكوين الكون بكل أجزائه، فالأعداد الفردية (الوتر) عنده عدد محدود تام، والأعداد الزوجية (الشفع) غير محدودة وناقصة، فالواحد أساس كل الأعداد،

وأما الزوج فهو ناقص لأنه سبب الزيادة والنقصان، وأما الثلاثة فهي مؤلفة من الفرد والزوج معاً وفيها طبيعتاهما، وعنده أن العدد أربعة المؤلف من ناقصين هو عنوان الكمال، والعشرة تتكون من مجموع أعداد الأربعة الأولى، فهي تتضمن كل المناسبات العددية وتشير إلى نظام العالم.

فيظهر لك مما تقدم أن المراد من هذا القول غامض، وربما كان مراده أن الأعداد رموز عن الجواهر الأصلية المؤلفة منها المادة: (الماء، والنار، والهواء، والتراب).

وبالنسبة لنظام الفلك عند الفيثاغوريين، فهو عبارة عن أفلاك الثوابت، أو الفضاء بين الثوابت، وبناءً على آرائهم في الأعداد فإن الكون يقسم إلى عشرة أفلاك، تسعة منظورة وواحد غير منظور، فالتسعة هي فلك النجوم الثوابت وأفلاك السيارات السبعة ومنها الشمس والقمر، وأما الفلك غير المنظور فقد سموه الفلك ضد الأرض، وهو على كونه غير منظور، فلقد رأوا فرضه ضرورياً لتنمية النظام العددي، وكانوا يعللون به فلك الخسوف، وعندهم أن القمر وسائر الأجرام السماوية آلهة أو مساكن الآلهة.

ديانة الصينيين

لقد ظهر عند أهل الصين عدة فلاسفة أقـدمهم ((**بـو**)) الذي ظهر قبل الميلاد بألفي سنة، ثم ظهر بعده ((**ليوشـو**)) وبعده ظهر ((**كونفوشيوس**))[1]، وقد حذا حذو بوذا بتخليه عن ملذات الدنيا وانقطع إلى النسك والتأمل ساعياً لإيجاد وسيلة لتهذيب أخلاق شعبه، وجال في البلاد مع تلاميذه داعياً إلى الفضيلة واجتناب الرذيلة.

ومن حكمه:

- من كان مستقيم القلب وينوي للغير ما ينوي لنفسه فهو متمسك بالناموس الأدبي وغير حائد عن الواجبات المفروضة.
- تصرف مع الناس في أعمالك كما لو كنت منظوراً بعشر أعين ومشاراً إليك بعشر أيادٍ.

(١) **كونفوشيوس**: نحو (٥٥١ ــ ٤٧٩) ق.م: فيلسوف صيني أسس مذهباً يحمل اسمه، وهو مذهب فلسفي أدبي يدعو إلى حياة عائلية واجتماعية مثلى، وهو رجل دولة ومربٍ، كان تأثيره كبيراً على تطور الفكر الفلسفي، أهم مؤلفاته: (أحاديث وآراء).

- اسلك في حياتك كما ترغب عند الموت أن تكون قد سلكت.

ويعتقد الصينيون أن ((**تسيس**)) هو الرب العظيم المالك الكون الذي لا يخفى عليه من شيء ذو إرادة أزلية وعقل غير متناه، وأيان توجهت فهو حاضر يجود بنعمه على الإنسان الفاضل، يحب استعمال الرحمة، يعتني بالأرض، وحضوره فيها دائم، منبع الحياة والحكمة، علة الكائنات وغاية مصيرها، ما أعظم قدرته وأتقن حكمته وما أكثر الملائك السماويين فهم حولنا يمنة ويسرة نريد أن نبصرهم فلا نستطيع لدقة جوهرهم، إن الأرواح النقية تلحق بهم أما الأرواح الشريرة تتردد باعتقال الماديات.

ديانة الفرس

إن الديانة الفارسية مأخوذة عن الهنود وذلك لأن مصلحهم الفيلسوف **زرداشت**[1] هندي النشأة، وكان الفرس يعتقدون بالوحدة الإلهية كالهنود ولكنهم يصفون الله بثلاث

---

(١) **زرادشت** حوالي (٥٨٣) ق.م: نبي الفرس الأقدمين، ومصلح ديانتهم الأول.

صفات من حيث الفعل، وهم: ((هرمز ويزدان وأهرمـــان)) وأحياناً يقولون أن يزدان إله الخير وأهرمان إله الشر وهمـــا في صراع دائم.

الدين اليهودي

لقد قضت الحكمة الأزلية وناموس العدل الإلهي أن البعثة وتجديد الدعوة لا تأتي إلا على حين فترة من الرسل وهجوع عن العمل وغباوة من الأمم وعمى عن الحقائق وظهور الأضاليل والبدع بمظهر الحقائق.

فبعد أن مارس فراعنة مصر كل صنوف الاستبداد والظلم والاضطهاد والقهر ضد الشعب وقاموا باغتصاب حقوق الكهنة وسخروهم لخدمة مصالحهم السياسية، وعندما أصبحت ربوع الحقائق دارسة ورسومها طامسة، وادعى الفرعون أنه يستمد سلطته من الله، وأحياناً فرض عبادته على الناس، عندها أرسل الله نبيه موسى/ع/ وأيده بالوحي وجعل آيته العصا ضد ما كان يخيل إلى الكهنة من الضروب السحرية، وضرب الله المصريين بالآيات التسع على يد نبيه موسى/ع/ التي عجز الكهنة عن دفع واحدة منها وهي: تحويل الماء دماً في جميع مياه مصر وإرسال الضفادع والقمل والجراد

والنور أي الدمل والوباء الصواعق المرسلة والنار والبرد وموت الذكار من كل نوع من الإنسان والحيوان وغشيان الظلام ثلاثة أيام.

وقد تبين للكهنة أن ما جاء به موسى/ع/ هو الحق المكنون عندهم ومحظور عليهم التعريض به ولو رمزاً، آمنوا به وصدقوه رغم إرادة فرعون مستسلمين للموت في سبيل هذا الحق المبين، ولكن تلك الآيات المهلكة والمعجزات الخارقة لم تجد نفعاً عند فرعون مصر، إلا أنه أعتق اليهود من رق العبودية وأطلق سراحهم وسمح لموسى أن يخرج ببني قومه بعد استغاثة المصريين إليه مما أصابهم من الكوارث المفجعة، ولم يلبث أن ندم على ما فرط منه لتسريحهم، فخرج بقوة جند ليقتص دابرهم، ولكن الله أغرقه مع جنوده في البحر، أما موسى/ع/ فقد تمكن من عبور البحر واستقر في فلسطين، ولكن اليهود ورغم نزول التوراة ورغم محاولات سيدنا موسى/ع/ لهدايتهم لم يزل الشرك كامناً في صدورهم لفطرتهم عليه، وعصوا موسى عندما دعاهم إلى حرب الكنعانيين بقولهم: ﴿ **فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ**

(١)، فانتقم الله منهم أن أوقعهم في التيه إذ قصدوا الرجوع إلى مصر ضد إرادة نبيهم، ومكثوا يتيهون أربعين سنة حتى انقرض الجيل المفطور على الشرك، وكان غاب موسى/ع/ وقام بعده بأمر بني إسرائيل وصيه **يوشع بن نون**/ع/، فدعا الناشئة التي تربت على التوراة إلى حرب الكنعانيين، وفتح أريحا مدينة الجبارين، فأجابوه مذعنين، فشدد عليهم الحصار، ورأى قرب الفتح، وكان يوم الجمعة وقد قاربت الشمس الغروب، والقادم يوم السبت وهو اليوم المحظور فيه القتال ومباشرة جميع الأعمال حسب حكم التوراة، فدعا الله يوشع/ع/ فوقفت له الشمس ومكثت مستقيمة حتى تأيد شعب إسرائيل بفتح المدينة وتكلل بالفوز والظفر.

وظل ناموس موسى/ع/ معمولاً به طوال مدة الأحبار إلى أن تربع الآخرون منهم على عرش الملك ونبذوا أحكام التوراة وتصرفوا بها بممالآت الأحبار فعاثوا في الأرض فساداً وعبدوا الأوثان حتى أفضى بهم البغي إلى قتل أنبيائهم.

---

(١) (المائدة : ٢٤)

فانتقم الله منهم بأن أسلمهم إلى عدوهم ((شلمنصر)) ملك آشور فقتلهم وأحرق هياكلهم وشتتهم في الأقطار ثم غزاهم ((بختنصر)) ورحلهم إلى بلاد آشور، ولم يكتف أحبار الإسرائيليين بما أصاب قومهم فعملوا على طمس أحكام التوراة ونافقوا في تأويلها ومع ما طرأ عليها من التحريف والتصحيف نسوا أصول تنْزيلها أو تناسوها، وهكذا أصبحت توراة سيدنا موسى/ع/ أثراً بعد عين، وحلَّ محلها التلمود.

الدين المسيحي

بعث الله سيدنا عيسى/ع/ داعياً إلى الحق الذي عبثت به أيدي الأباطيل، فأشاد ما طمس من رسوم الحقائق ودفع ما درس من أحكام التوراة.

وقد قال/ع/: تظنوا أني جئت لأحل الناموس ما جئت لأحل بل لأكمل. ((متى)).

وأمده الله بالمعجزات: مثل برء العلل الزمنة بمسح يده فقط وإحياء الموتى، ولكن لم تمض فترة حتى ادعوا أنه مبتدع وسميت تعاليمه بالعهد الجديد لتجديده ما رث من أحكام التوراة، وتمييزاً له عن العهد القديم، فأنكر عليه الأحبار ذلك

وقاوموه أشد المقاومة حتى أسلموه للقائد الروماني ((بيلاطس)) فحكم عليه بالصلب على حد زعمهم.

فقام بالدعوة بعده تلاميذه الذين جالوا في الآفاق ينشرون تعاليمه غير مبالين بالأخطار المحدقة بهم، ولم يثن عزمهم اضطهاد الحكام الرومان ولا استبدادهم فنشروا الأفكار الداعية إلى الناموس الذي جاء به السيد المسيح/ع/ فقام البعض منهم بتعديل وتغيير بعض ما جاء فيها واختلفوا في التأويل واحتدم النِّزاع واستفحل أمر الخلاف وعقدوا المجامع العديدة لتسوية هذا الخلاف، ولكن الخلافات تعمقت وتفرقت الأهواء وتعددت المذاهب الكثيرة إلى أن قبض قباصرة روما على زمام الدين وتربع القيصر الروماني على الكرسي الرسولي وتلقب باسم ((البابا)) وتولى مقاليد السلطتين الدينية والزمنية وحجز على العهدين القديم والجديد وحظَّر على الشعب قراءتها وشرع لهم قواعد يتعلمون بها... وأبدع ما شاء وشرع ما شاء، وجرى خلفاؤه على مجراه أما عن ظلم الرومانيين وجورهم فحدث ولا حرج فكم مظلوم باسم الدين وكم مقتول باسم الدين ولا تسل عن الأسواق

والبدع التي أوجدوها للإتجار باسم الـــدين كبيـــع صـــكوك الغفران وغيرها وفنون الضرائب التي ينسبونها للدين ليربحـــوا الثروات الطائلة، أما الحقائق وأحكام الكتب المقدســـة فقـــد أمست بحكم العدم إلا الاسم فقط.

العرب قبل الإسلام

قبل أن يشرق نور الإسلام كان بعض العرب يعتنقـــون النصرانية، والبعض الآخر اليهودية، واقتبس العــرب الوثنيــة عمن جاورهم من الكلدانيين والمصريين والفينيقيين، وأول من نقل الأصنام إلى بلاد العرب **عمرو بن لُحي بن حارثة بــن كهلان بن سبا**، واقتدى العرب بعمرو واتخذت كـــل قبيلـــة صنماً، وكانت هذه الأصنام تصنع على صور شتى فكانـــت اللات تمثالاً للزهرة، وكانت من حجر أسود يعبدها بنو ثقيف في الطائف، والعزى كانت على صورة نخلة لقـــريش وبـــني كنانة، وكان حجابها بنو شيبة، ومناة كانت للأوس والخزرج أهل يثرب، وكانت يغوث على صورة أسد، ويعـــوق علـــى صورة فرس، ونسر على صورة طير، وبعض الأصنام كانـــت تُصنع من الأديم أو التمر..

وكان الجهل سائداً والمفاسد تتكـــاثر والقـــوي يقتـــل الضعيف، وهناك من يئد البنات، وانتشرت مفاســـد القمـــار وتناول الخمور والتعامل بالربا، لـــذلك أراد الله أن لا يأخـــذ

تلك الأمم البريئة بذنوب أولئك المبتدعين، وشاءت إرادته مناصرة الضعفاء من عبودية المترفين، فأرسل نبينا محمداً ﷺ لإنقاذ تلك الشعوب من هذه المهاوي المظلمة.

الدين الإسلامي

إن الحقيقة هيَ هي لم تتغير في ذاتها منذ علّمها الله للإنسان، وإن تغيرت صبغتها من جهة التقاليد المادية فذلك بما تقتضيه المصلحة الإنسانية والأخلاق البشرية في ظروف الزمان والمكان، وهذه الحقيقة هي التي جاء بها الرسل الكرام ومن قبلهم من المصلحين، ولم تختلف الشرائع إلا في الطقوس المادية لا غير، ولم تكن أعمال الأنبياء تختلف إلا لاختلاف المحيط المبعوث لأجله النبي المرسَل إليه، وذلك أن محمداً ﷺ جاء بالآيات التي جاء بها موسى/ع/ وعيسى/ع/ لئلا يجد أهل الكتابين خلة يفضلونهما به عليه، وأن لا ينكروا ما لبعثته من الحق وكمال الفضيلة إلا عناداً، فقد شابه موسى بالبأس والوحي والمعجزات الخارقة، وماثل المسيح بالزهد والقناعة واللين والتواضع والحكمة والكرامات الفائقة، وتفرد بالبلاغة والفصاحة لوجودهما في محيطه الذي أدهش العالم وأحرز

قصب السبق على جميع الأمم والشعوب، ومع أنه كان أميا اقتضت الحكمة الإلهية والضرورة الزمانية أن لا يكون منقصة لا بالسبق في خلة من الخلال الفاضلة، فتقادم المفضول به حتى تناقص الأصول، ومن ثبت انتقاصه بطل اختصاصه، فقد فاق العرب فواقاً لا يُقدر، فكانﷺ أفصح العرب لسانا وأوضحهم بياناً وأثبتهم جناناً وأسمحهم بناناً وأجلهم حسبا وأكرمهم نسباً وأرجحهم عقلاً وأقسطهم عدلاً وأوفرهم علما وأوسعهم حلماً وأرعاهم جاراً وأحماهم ذماراً وأصوبهم حمية وألطفهم سجيةً وأطهرهم أمومةً وأعرقهم أرومةً.

بُعث محمد ﷺ والشرك ضارب أطنابه في العالم عامة والعرب خاصة، لفقدهم الروابط الدينية، ففيهم الوثني والصابئي والمجوسي واليهودي والنصراني، ولكن لا دين غير الاسم، إذ لا عمل بأحكام الدين إلا عند بعض الأفراد الذين ليس لهم حول ولا طَول كقس بن ساعدة الايادي، وعبد المسيح بن دارس الحارثي النجراني، وخالد بن سنان العبسي، وأمية بن أبي الصلت الثقفي الذين مضوا قبل بعثته ﷺ، فأولئك لا ينكر التاريخ تمسكهم بالدين واعتقادهم في الخالق

وبقوا رهين الصمت. ولم تكن حقيقة مرغبة إلا عند أحد:
حتى ﷺ وقيل لا نعلمها.

حتى جاء سيدنا محمد ﷺ فنسخ رسالته، وأبدأ الرسالات الوحي والإلهام. وأنزل عليه القرآن الكريم الذي أعجز معه العرب على أن يأتوا بآية من مثله. قال تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾(1) ...

وأثنى على التوراة والإنجيل وأوضح خطأ المتدينين بهما بنبذهم أحكامهما الشرعية وراء التقاليد الوضعية وتحريف الكتابين عن مواضيعهما الصحيحة وخسوف أنوار حقائقهما الجوهرية بأجرام المطامع الكثيفة. فقد جاء في حق أهل التوراة قوله تعالى: ﴿مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا

---

(1) (البقرة: ٢٣)

وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾(١).

ومما جاء في حق أهل الإنجيل قوله تعالى: ﴿ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾(٢). ﴿ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُواْ اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾(٣).

وهكذا فإن الكثير من آيات القرآن الكريم جاءت بتأييد التوراة والإنجيل، وأنهما من عند الله ونبياهما صادقان وكان الرسول ﷺ يعظم من شأن أهل الكتابين من دان بحقيقة ما أُنزل ويشدد النكير والغلظة على المارقين من أهل الكتابين.

ولن نتوسع بالشرح لأن كتب السيرة الشريفة تغنينا عن ذلك، ولكننا نقول: لقد أرسل الله سيدنا محمداً ﷺ نوراً للدين

---

(١) (النساء : ٤٦)

(٢) (المائدة : ٤٧)

(٣) (المائدة : ٧٢)

ورحمةً للعالمين، فبثّ دعوته بالتعريض والإعلان وأيدها بالدليل والبرهان، وأمدَّه الله بالحكمة وفصل الخطاب، وأيده بالوحي الإلهي المشرق بنور اليقين العاري من شوائب الظن والوهم، فكان لا يخطئ الصواب في القول والعمل، فبلّغ رسالته الصادقة غير مكترث باضطهاد قومه، ولا مبال بتهديدهم ووعيدهم، لعلمه بما سيؤول إليه أمره، فظهر بمظهر النطاسي الخبير، وسار سيرة الطبيب الحاذق الذي يعطي العلاج الناجع من غير إزعاج العليل، يدعو إلى الله بالموعظة الحسنة والزهد بمتاع الحياة الزائلة، ويشوق ببلاغته إلى النعيم الخالد، وأبان أن هذا النعيم متعلق بالإقرار بالشهادتين مع ما يجب معهما من الأعمال الصالحة، فآمن به نفرٌ قليل ..

ولما كانت بيعة العقبة الثالثة وبلغ المسلمون ثلاثة وسبعين رجلاً وامرأتين فُرض عليهم الصلوات كما هي الآن، فوجدوا بها لذة لا مزيد عليها رغبة في ثواب الله وخوفاً من عقابه، فلما علم منهم ذلك فرض عليهم الجهاد وأنبأهم أن الموت في سبيل الله هو باب الحياة الأبدية. قال تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ

الّذين قُتلوا في سبيل اللّه أمواتاً بلْ أحياء عند ربّهمْ يُرزقون ﴾[1].

ولما بلغ عدد المسلمين الثلاثمائة وأكثر وعلم منهم قوة العزيمة وثبوت الجأش وما هم عليه من الألفة والتفاني في سبيل الله وطاعة رسوله، وعلموا من أنفسهم ذلك ورأوا ما لديها من العديد والعدة، أسرعوا للجهاد بقلوب لا يخامرها الوجل وعزائم لا ينهكها الكلل، يتمنى أحدهم الموت طمعاً بلقاء الله ونعيم الجنة، ثم فرض عليهم الزكاة وحضهم على العمل بمقتضياتها، ثم فرض عليهم الحج على الصورة الحاضرة، فأجابوه طائعين، وكان قد قوي الإسلام وتوطدت أركانه واتسعت الفتوحات بغزواته العديدة، وأخضع العرب، وقهر جبابرتهم وأذلّ شجعانهم بسيف الحق المبين وإمام المتقين علي أمير المؤمنين/ع/، وألّفَ بين قلوبٍ كانت تنفجر عن صهارات الضغائن والأحقاد، وتدفع قذائف الانتقام لثارات الآباء والأجداد، فأصبحوا بفضله إخواناً على وفاء متقابلين، يعولهم أب رحوم وهو الإسلام، وتحضنهم أم رؤوم وهي الشريعة،

---

(١) (آل عمران : ١٦٩)

وتحول القبائل العربية إلى دولة واحدة تحول الخصام إلى وئام والأحقاد إلى وداد وأصبح المسلمون كالبنيان المرصوص وقامت الدولة العربية الإسلامية وانتشر العدل وقضي على الشر والفساد وزهق الباطل وجاء الحق وساد الأمن وازدهرت البلاد.

ولما كملت الشريعة بجميع أحكامها ودرس المسلمون اداها عن أخلاقه الطاهرة ﷺ أوضح لهم بتعاليمه وجوب اقتران السنن بالفرائض ورأى ما عندهم من الاستعداد والمسابقة لمعرفة حدودها وقوانينها والمسارعة للقيام بأداء شروطها وإخلاصهم لصدقه والتسليم لطاعته، ونزلَ قوله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ** ﴾[1]. ومن المعلوم أن هذه الآية نزلت بحق مولانا أمير المؤمنين/ع/، وبرواية ابن عباس لما نزلت هذه الآية أمره الله أن ينادي بولاية علي فضاق النبي بذلك ذرعاً لعلمه بفساد قلوب البعض من أصحابه فأنزل قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ**

(١) (المائدة : ٥٥)

إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فما بلَّغْــت رســالتهُ واللَّــهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاس إنَّ اللّه لا يهْدي الْقوْم الْكافرين ﴾[1].

فلما أن قضى حجة الوداع ورجع إلى موضع يقال له ((**غدير خم**)) ويوم الغدير هو اليوم الثامن عشر من دي الحجة وروي في فضائل أحمد وأحاديث أبي بكر بنماللك وأبانة بن بطــة وكشف الثعلبي عن البراء بن عازب قال: أقبلنا مع رسول الله حتى كنا بغدير خم فنادى الصلاة جامعة، وكســح تحــت شجرتين وجمع من أغصان الشجر وعمل منبراً وقال: يا قــوم ماذا تشهدون قالوا: نشهد أن لا إله إلا الله ونشهد أنك عبده ورسوله فقال: اللهم اشهد ثم قال: فهل بلغت قالوا: قد بلغت ونصحت فجزاك الله عنا خير ما جوزي نبي عن أمته، قــال: ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم قالوا بلى يــا رســول الله، فأخذ بيد علي كرم الله وجهه ورفعهما حتى بــان إبطيهمــا وقال: **من كنت مولاه فهذا علــي مــولاه هــذا مــولاي ومولاكم ومولى كل مؤمن ومؤمنة اللــهم وإلى مــن والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره وأخذل من خذله**. فــأنزل

---

(١) (المائدة : ٦٧)

الله قوله: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دينكُمْ وأتممْتُ علَيكُمْ نعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإسْلاَمَ دِيناً ﴾[1]. فقام المسلمون وفي مقدمتهم عمر بن الخطاب فقال لعلي/ع/ هنيئا لك يا ابن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة، وتكاثرت الأقوال بفضل الغدير نظماً ونثراً ومن ذلك ما قاله إسماعيل الحميري:

بعدما قام خطيباً معلناً	يوم خم باجتماع المحفل
قال إن الله قد أخبرني	في معاريض الكتاب المنزل
أنه أكمل ديناً قيماً	بعلي بعد أن لم يكمل
وهو مولاكم فويل للذي	يتولى غير مولاه الولي
وهو سيفي ولساني ويدي	ونصيري أبداً لم يزل
ووصيي وصفيي والذي	حبه في الحشر خير العمل
نوره نوري ونوري نوره	وهو بي متصل لم يفصل
وهو فيكم من مقامي بدل	ويلٌ من بدَّل حكم البدل

(١) (المائدة : ٣)

وحتى محمد بن إدريس الشافعي وبعد أن اطلع على عمله علي أمير المؤمنين اللاهوتية والتي أثبتت مقدرته غير العادية وقف متردداً بحيرة فقال:

أرى فضل مولانا علي وقوع الشك فيه أنه الله
يموت الشافعي وليس يدري علي ربه أم ربه الله

ثم يورد العلامة الشيخ يعقوب بعض الخطب التي قالها أمير المؤمنين علي/ع/ فيقول: خطب علي في جامع البصرة فقال: معاشر المسلمين المؤمنين إن الله ﷻ أثنى على نفسه فقال: هو الأول يعني قبل كل شيء والآخر بعد كل شيء والظاهر على كل شيء والباطن لكل شيء سواء علمه عليه سلوني قبل أن تفقدوني...

ومن بديهياته في الرياضيات أنه كان خارجاً يوماً من المسجد فاعترضه أحد اليهود قائلاً يا أمير المؤمنين: أي عدد يقسم من الاثنين إلى التسعة بدون كسر قال علي: أتؤمن بالله! قال نعم قال: اضرب أيام جمعتك في أيام شهرك والحاصل في شهور عامك تجده تماماً...

وبعد أن استعرض الشيخ يعقوب الحسن ﷺ كافة الفلسفات الوضعية والديانات القديمة قال:

هذا ما انتهى إليه علمي وأحاط به قلمي واستغفر الله من هفوات الأول وأستعيذه من عثرات الثاني، وقد برهنت على تأييد الرأي الذي يلائم التوحيد إمكاني من العلم به خدمة للدين وأهله..

وختم مقالاته أو بيانه الذي كرسه للدفاع عن الأديان بأرجوزه لخص فيها محتويات مقالاته فقال:

تم بحمد الله ذي الجلال والمجد والعزة والكمال
هذا الكتاب الجامع المعاني ونخبة الأسرار في الأديان
منسوقة في جمل وجيزة مبينة ألغازها المرموزة
في الألف أرخ والثلاث مئينا وخمسة بعد أربعينا
من هجرة المبعوث خير الأنبيا صلى عليه الله ما جاد الحيا
وآله الأئمة الأطهار كواكب الرشد هداة الساري
وبعد فالمضمون من هذا الأثر والمبتدا المبذول منه والخبر
إيضاح سر النكت الدقيقة ذات الخلاف لهذه الطريقة
أيدتها لحسبي مع الإمكان بحجج جلية البرهان
قد أوردت عن كتب عديدة صحيحة أسنادها مفيدة

وجلها جاءت عن الفلاسفة ... تجلو دياجير الضلال الكاسفة

قد أوجز الإسهاب حيث الفائدة ... مبرهناً أن الحقيقة واحدة

إن تختلف في صبغة التقليد ... فالكل راجعة إلى التوحيد

ومع التباين في الطقوس الظاهرة ... فلغاية الوحدة كل سائرة

وقد سلكت الطرق العسيرة ... في هذه المبادئ الخطيرة

لما بدقتها من الإشكال ... تعاكس الآراء والأقوال

فكل بحث فيه معنى غامض ... يبديه ذو رأي وآخر ناقض

أبديت فيها الرأي وفق المذهب ... لكل قوم شرعه في المشرب

لا بدع إن فضّل زيد مذهبه ... كل فتاة بأبيها معجبة

هذا بيان موجز الإسهاب ... يجلو معانيه أولو الألباب

هداية الأحداث بل هدية ... للفتية الراقية العلمية

والعلة الأولى وروح الكون ... وكلما ذي حركة وسكون

قد أوجد الأسباب والهيولى ... على انتظام يذهل العقولا

وخصها في مدد الحياة ... ونشأة الحيوان والنبات

قضى بحكمته لها الديمومة ... تجري بلطف الصنع مستقيمة

لا يستحيل على القدير الخالق ... إن شاء قلب الكون بالخوارق

والمعجزات يجيزها الإلهام ... والوحي من آياته الأحلام

هذي الحقيقة دونما تخمين ... أوضحت غامضها لأهل الدين

فليتق الله أولو الأبصار ... بإذاعة الأسرار للأشرار

والملتزمون بالواجب القائمون   طوعاً لأمر الله والقانون

إذ أفضل الأعمال تقوى الله   والأمر مقرون بسعي الساعي

تلك الذريعة في الحياة الحاضرة   وسعادة الدنيا وفوز الآخرة

هذا الذي حققته من ديني   مسترشداً أخلصت فيه بقلبي

يا رب قد أديت أمراً واجباً   علّي أكون به لرشدك صائناً

أمعنت بالرؤية الروايــة   فوعيت من سفر الحقيقة آيــة

أودعتها للمبتغي الإفادة   وعلى الكريم المؤثر الزيادة

ذخيرة المضني لدى الرحمن   وخدمة للدين والإخوان

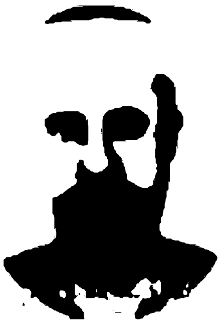
المخلصين الصدق في الولاية   والحب في الله هو الكفاية

أرجو بها من لطفه الثوابا   ومنهم الدعاء والإيجابا

وعليهم الصلاة والتحية   من ربهم راضية مرضية

وصلاة رب العرش والسلام   على النبي المصطفى ختام

وآله الطهر مشاكي الدين   ما غرد الورق على الغصون



الفصل الثالث

نماذج مختارة

من شعر العلامة الشاعر

يعقوب الحسن

الفصل الثالث

نماذج مختارة

من شعر العلامة الشاعر الشيخ يعقوب الحسن ﷺ

يعد العالم الشيخ يعقوب الحسن ﷺ من مشاهير الشعراء في عصره وللأسف الشديد لم أعثر على ديوان خاص به وما عثرت عليه من قصائد تدل على أن شعره ينطق بالحكمة والمواعظ وله مدائح ورثاء وغزل وتوسل وشعره عذب حسن مشترك بين الرقة والصعوبة وقد أجاد في جميع الأبواب الشعرية التي نطق بها وخاصة الوعظ فمن خلال مواعظة نجد أن لديه منهجاً خاصاً يتميز به عن غيره ويتضح أنه لم يسكت عن الخطأ و لم يجامل بل كان يقول كلمة الحق دون مبالاة فقد انتقد الكثير من الممارسات الخاطئة التي مارسها البعض والتي عدها مخالفة لشرع الله وشعره طافح بالحكم والدعوة إلى الطريق القويم ودعا إلى اليقظة ونبذ الكسل والعمل على تطور الأمة وعدم التغافل أو التساهل في تطبيق أحكام الشريعة. ودعا إلى نبذ التعصب في الأديان واعتبره موبقة وأكد أن الدين لله والعبرة في الأعمال وليس في الأقوال ودعا إلى

التواضع والابتعاد عن التفاخر وعن الغرور ودعـا إلى عـدم استغلال الدين لتحقيق أية مآرب أو مكاسب مادية ، فيما يلي نماذج مختارة من أشعاره للشيخ يعقوب الحسن قصائد توسل اخترت منها هذه الأبيات:

يا من عـلا بكمالـه المشـهود   عن كون أوصاف وعن تحديـد
يا رب عفوا يا مفـيض الجـود   عن مذنب نـاني المـزار بعيـد

ضاقت بزلته رحاب البيد

صبٌّ شكا لعلاكَ رقـة حالـه   ولنيل جودك مدَّ كـفَّ سـؤاله
متعوذ بك مـن قبـيح فعالـه   ومن الورى صُرِمت عُرى آمالـه

يهمي سهاب الدمع فوق خدود

أدعوك معترفاً بثقـل جرائمـي   بمظاهر سـفرت لكـونِ العـالم
تزهو نضارتها كـروض نـاجم   ببديع أسبابٍ وحكمـة حـاكم

وجللت يا مولاي عن تعديد

وانصر بنصرك عصـبة الأبـرار   أهل الـولاء السـادة الأطهـار
واجعل ذليلـهم بهـذي الـدار   في عزة وامطـر علـى الفجـار

مطر الفنا وصواعق التنكيد

وألطف بنا واكشف قناع دُجنَّة   حجبت سـنا أبصـارنا وأكنـة
وامـنن علينـا بالمعـاد بجنَّـة   فرضاك يا مولاي أعظـم منـة

فاسمح به للبائس المنكود

وارفق بضعفي يوم يبعث طائري ... جهرا وتبلى فيــه جميــع ســرائري

يا رب إن ضاقت إليك معاذري ... فاجعل حواشي ثوب حلمك ساتري

وبجاد لطفك يا لطيف برودي

أخلصت ودي إذ تحققت الوفــا ... فرضا لإخــوان المــودة والصــفا

علّي أنال بفضل حبهم الشــفا ... وأهدي الصلاة على النبي المصطفى

خير الأنام محمد المحمود

ومن قصيدة يمدح فيها الأئمة الأطهار يقول:

هــم الأئمــة يهــدى المتقــون هــم ... مثل الأهلــة والأنــوار في الظلــم

لا أبــرأ الله ســقمي مــن محبتــهم ... ولا خبت نار وجدي من ولائهــم

آل النبي فــروع المرتضــى وكفــى ... فخراً لهــم ثم بــالزهراء أمهــم

هم الصراط السوي المستقيم إلى الرحمن ... والعــروة الــوثقى لمعتصــم

هــم الأجلــون عنــد الله منزلــة ... سارت بفضل رســول الله جــدهم

* * *

فــدتكم يــا بــني الزهــراء نفســي ... أضعتم من بــوادي الحــب هامــا

ســلبتم مهجــتي فعســى رضــيتم ... بهــا وتــركتم حظــي السَّــقامَا

رضــعت ودادكــم طفــلاً وهــذا ... وقار الشــيب حــرمني الفطامــا

أطعت الأمــر فــيكم وهــو فــرض ... وأمــــر الله أولى أن يقامــــا

فهــلا رحمــة مــن بــات يرعــى ... طوالــع قــربكم عامــا فعامــا

اتخــــذت ولاءكـــم لله دينـــاً ... وإن جار العــذول بكــم ولامــا

واشتهر العلامة الشيخ يعقوب... بالوعظ ومن شعره في الوعظ هذه الأبيات:

واعص الهوى آنفاً واحذر عواصفه ... فكم دعت من جهول لذكر مغموس
وكن بدينك بعد العلم في ثقة ... فالعمر محتقر إن سمي أو عبس
إن التعصب في الأديان موبقة ... أليس ما خو لا نكر أتى موسى
فالدين لله والأعمال تثبته ... والعدل يشمل محموداً ومحبوس
ومن يقوم بما جاءت به شريعته ... فلا يخاف عداً من ربه بوس
ومن عصا داعي الإيمان عن عمدٍ ... لا يستوي بالهدى من ضل ناموس
وما يضر أخا التهويد ناصبه ... إلى الضلالة إن أدى الناموس
أدين لله بالدين الحنيف وقد ... آمنت حقاً بما فيه أتى عيسى
ومذهبي الشرع لا إن القياس به ... من حيث لم يفرض الله التقديس
يا للبصائر للدين الذي احترمت ... أنصاره الكأس دون الشرع والكيس
كيف السبيل وقد ضل الدليل هدىً ... دعوا إماماً وحاخاماً وقسيس
قد صيروا كتب الإلهام مأكلة ... ودنسوها فبئس القوم تدنيس
وغادروا حكمها لغواً وما اعتبروا ... لسوء ما قصدوا إلا القراطيس
يبدون نسكاً وإن حققته شركاً ... وحيلة ليست بالمكر تلبيس
يحكون بالقول إن قالوا ملائكة ... لكن بالفعل تلقاهم أباليس
بئس التخلق بالتقوى لذي ورع ... إذا استحل الدم المبرور مغروس
كأنما الدين جلباب أبيح لهم ... كما يشاؤون مخلوعاً وملبوس

فانظر بما عوقبوا إذ بات عندهم | من الإهانة شرع الله معكوسا
دعهم وقولهم فالحق غايته | ما أوجب الله أحكاما وناموسا
واختر لنفسك حراً طاب مورده | ديناً وظل به ما عشت مأنوسا

ومن المواعظ هذه القصيدة التي أرسلها لأحد تلامذته من آل الخير حينما كان في المدرسة العلمية باللاذقية قال فيها:

طلاب العلم مرقاة الفخار | أتصبر أم تبوء بلا اصطبار
فإنك في الصبى مرآة ذهن | وحكمة لطفها ضوء النهار
تضيء بنور حكمتها زماناً | وتصدأ ثم تبدأ بانكسار
ينال من الجياد الفوز مُهر | بمضمار السباق أو المغارِ
فإن العلم كنز والخبايا | دياجٍ والنهى مصباح سارِ
فلا تجعل شعارك نظم شعر | وتضحي من عداه بلا دثار
قوافي الشعر قد وطئت وشاخت | فلا تطمع فديتك بابتكار
فما تركت يد الشعراء بِكراً | تَضُنُّ بحسنها تحت الخمار
فلا تكسل بني وهداك نصحي | فعاقبة السآمة للخسار
لقد عم التقدم في أسوج | كما أقتم التغفل في ظفار
هي الدنيا أولها بنوها | فمن عاف وآخر في يسار
فلا تفخر بما أُعطي فطين | ففخر الحر في ترك الفخار

وهذه قصيدة يدعو فيه إلى اليقظة وإلى عـــدم التغافـــل ويؤكد فيها إن الإنسان لابد راحل لذا فعليه أن يستغل حياته لتزود بالأفعال الحميدة والجميلة وأن يأخذ العبر من السابقين فيقول:

يا غافلاً عن هول رحلتـــه الـــتي	تعنو لروعتـــها الجيـــاد القـــود
تصبو إلى الـــدنيا وتعلـــم أنهـــا	دار البـــوار وجارهـــا مطـــرود
هي منزل ضنك إذا مـــا احتلـــه	وفـــدٌ تأهـــب للرحيـــل وفـــود
آمالهـــا وهـــم وحـــب نوالهـــا	جهل وصـــدق مقالهـــا تفنيـــد
ولـــرب مجـــرور المظـــالم آمـــن	أمسى وذيـــل نعيمـــه مقـــدور
ومرفه قـــرن الشـــمول عشـــية	أضحى وسجع قيانـــه التعديـــد
لا تترك الفعل الجميل إلى غـــد	فلربمـــا يـــأتي وأنـــت مُعيـــد
في السالفين لمن تبصـــر عـــبرة	إن كان يلقى السمع وهو شهيد

المدائح والمراثي

في شعر العلامة الشاعر الشيخ يعقوب الحسن

ومن أجود قصائده في المدح قصيدته اللامية التي مدح بها سعادة جابر أفندي العباس فقال

عرج على الغور حيث الركب قد نزلوا — وانشد فثم جوىً أقصى به الأمل
وانثر على الرسم من جزوى الدموع أسىً — واشك التنائي لأنت الوامق الثكل
الجامع الحزم لا ينفك يملكه — والماضي العزم لا عي ولا كسل
مبسوط لذوي الآمال راحته — فالحل والمال والأنعام والإبل
لا ينقض الدهر أمراً كان أبرمه — وينقض الدهر إن ساءت به الخِلل
ما فيه عيب سوى الإسراف في بَذَل — والبخل في المَن لكن ورده عسل
باتت لديه خلال الحمد قاطبة — تزهو برمتها الأفراد والجُمل
قل للذي رام في العليا يُمثله — حذارِ أخطأت وهماً أيها الرجل
آباء فضل كماء المُزنِ في شرق — عفِ المآزر طُهر ما بهم خلَلُ
أولئك الشهب الأعلام مطلعهم — محمد من سنى العباس مشتعل
عِقد لجيد المعالي جاء منتظماً — لجابر وهلال المجد ينتقل
أمست حماك أبا العباس غانية — قد زانها من سَناك الحليُ والحُلل
لي من نوالِ ابن إسحاق الكظيم من — الأسماء حظ على علياه اتكل
ودمت في رغدِ ما الدهر في مَددِ — وما توالت بها الأبكار والأصُلُ

ولكن أجود مدائحه تلك القصيدة التي مدح بها الشيخ العالم الشاعر أحمد أفندي ديب الخير حيث يقول:

ينعت حدائقه وحق بها الندى فجنى الرفيع ثمارها والدون

تلك السماحة حجبت عن طيء فبدا بأحمد سرها المكنونْ

الوارث الشرف المؤثل جهدُه والخاطب العلياء ولا مأذون

يغنيه عن كسب الثناء إذ اسمه المشتق عرفاً بالثنا مقرون

وله السيادة والسعادة والعُلى عن صدق آباء سموا بالدين

قوم به عُرف الصلاح وكم أتى منهم أمين يقتفيه أمين

ما غاب منهم كوكب إلا بدا من أفقه نجمٌ يليه مبين

طُهر تقنع بالعفاف وبالتقى والنسك منهم يافع وجنين

هذا الذي سارت بسيرته الورى ولذكره بالخافقين رنين

وأتت لرفعته المعالي وهو ما لك رِقّها وبثديها ملبون

علم يكاد النجم يسقط شهرة من دونه سامي الوقار مكين

يدنو به الأمل البعيد منالُه ويحول دون الظن وهو يقين

يا أيها المولى الشريف نجارُه دُم سالماً والنصر حيث تكون

لا زال في أفق السعادة باسماً بالعز طالعُ وجهك الميمون

ومن محاسن شعره قصيدة يمدح بها آل الخير يقول في مطلعها:

هلال السنى أم طالع الخد سافر | وصبح الهنا أم بارق الثغر باهر
وبانات نجد رنحتها يد الصبى | بفرط دلالٍ أم قدود سماهر

وقد قرظها إمام الأجيال العلامة المصلح الشيخ سليمان الأحمد فقال:

وفي ذمة التحقيق تلك قصيدة | رفيقة نظمٍ حيّرت كل شاعرِ
بديعة معنى دون إدراك حسنها | بلوغ الأيادي للبدور الزواهر
وهيهات تحصي الواصفون صفاتها | ولو نثروا فوق السطور الجواهر

ولكن هناك من يؤكد أن أجل مدائحه وبديع فرائده مديحه بالإمام علي وبنبينا الأعظم محمد ﷺ يقول في مطلعها:

قف عن يمين الحِمى إن جئت ذات سلم | واقر السلام بدور الجزع من أضم
واشك الجوى عن أخي وجدٍ تؤرقه | ذكرى ليالٍ بظل.. والعلم
يهمي إذا طيفها بالوهم مرَّ على | خديه من عبراتِ الدمع كالغمم
حتّام أجرع من كأس النوى غُصصاً | وأمزج الدمع من هجرانكم بدم
قد شاب فودي والآمال صائبة | في حبكم وهيامي غير منفطم
ما أحسنَ الحبَ لولا اليأسُ من أمل | وأجمل الصبر لولا آفة السأم

يعتبر الباحثون أن أجود مراثيه وأبدعها مرثاته بالقطب الفخيم الشيخ ناصر الحكيمقدس سنة ١٣١٦هـ ومطلعها:

الدهر يجمع والمنون تبيد والعمر ينقص والآمال تزيد
والمرء يطمح بالمحال جهالة دون المآل وعلمه مفقود
كبرُ الزمان يعين كل ابن امرئ حياً ويبلى الكل وهو جديد
لو يفتدى عنه الذخائر والظبي ما ذاق مطعم صابه النمرود
أو يُستجار من المنون بقوة ما ذاق عاد بأسه وثمود
لم ينفع الإكسير كسري لا ولا قارون كنْز المال والترصيد
وجموع ذي القرنين ما أغنته عن ورد المنون وسده المسدود

ومن أبدع مراثيه تلك المرثاة المعبرة التي رثى فيها ولد عمه الشيخ علي حمدانقدس الشاعر وهذه باقة منها:

حُزني لفقدك ما حييت طويل وجميل صبري عن أساك غليل
وعليك في قلبي جوىً تمضي به الـ أيام بارحة ولبس نحول
أأسر حزنك وهو سقم ماحِل ويذيعه ضنىً ونحول
ما لي وللدهر المسيء وحظه مثلي بإيجاد الكرام قليل
يبغي الفتى حب الدنى وعنده علم يقين أنه سيزول
ما كنت آمل والظنون كواذب أن المحاق على الهلال يحيل

حتى رأيت سنا علـي في الثـرى | وبــــدر كمالـــــه مـــأفول
العالم الفــرد الــذي نــال امتيــا | زاً في الصبى ما لم تنله من السُراة كهول
هيهــات أن تلــد الليـــالي مثلـه | ثـــان ومـــن طبــع الزمـــان لجمــول

وأخيراً هذه مقتطفات من قصيدة يرثي بها العلامة الشيخ يعقوب الحسن قدس سره فضيلة الشيخ العابد الزاهد غفــر الله لــه الشيخ صالح ناصر الحكيم قدس سره:

دَعْ حديثَ النقا وذكر الحجــون | وحنينـــاً علـــى ربى يـــبرينِ
ووهـــادٍ دوارسٍ وحـــزون | نسخَت عهدها صُروف المنــون
حول الوجد واتــركنَّ الهيامــا | بطُلولٍ عفَــت وخسَّــت مقامــا
المحلت من نسيم ريَّــا الخزامــى | وخلَــت مــن ظعــائنٍ وقطــين
خلِّ عنك ادكار تلك الشــعاب | ودِمـــانٍ لزينـــب والربـــاب
ليس يشفي الأوامَ لمعُ الســراب | فإلى العذب من ميــاه الأجــون
أيها النــادب الخــواء رويــداً | هل توهــدها وجئــتَ النجــودا
حسبك الدين يا أخــاهُ رشــيداً | نازع الشك عــن مــراء الــيقين
ما لذكرى دمــان ربــعٍ تعــافى | ضلّه الــوهم شــتوةً واصــطيافا
أخــذَ القــوم بالخيــال جزافــا | وتعــدى المحــال حــد الظنــون
ابك عصــراً إذا أردتَ البكـــاء | جمَّـــل الله صـــبحَه والمســـاء
ضوَّع النشر من شذاه الســماء | ناجمُ الــروض مســتهل الجــبين

ذاك عصرٌ مضى وعيشٌ تقضّى ... وزمانٌ زهـا بـه الـدين عصـ

حافظٌ سُـنَّة الإخـاء وفرضـا ... بثبـوت الـولاء دنيـا وديـني

نارَ فيه الهـدى وعـزَّ الونـام ... وتباهـت بفخـره الأيـام

فعلى ذلـك الزمـان السـلام ... يتـهادى بصـائع الصـرين

إيه يا سعدُ شنِّف السمع ذكـرا ... من ثنـاهُ وزّج الـرّوح نشـرا

ذاكَ وقعٌ لديَّ أشـهى وأمـرى ... مـن أغـانٍ بديعـة الـتلحين

يا رعى الله عهد تلـك الليـالي ... وحيـاةً تمتَّعـت في ظـلال

كلما مـرَّ طيـف ذاك الخيـال ... جدَّ واهـي صـبابتي وحميمـي

وسـقى جمعنـا بحـيّ سـعاد ... من غوادي الشؤون صوب الغهاد

وقفةً ظـلَّ طيفهـا في فـؤادي ... مسـتقراً بحـركتي وسـكوني

حيث حفظ العهـود والإيمـان ... حيث حب الإخـاء والإخـوان

حيث نزع الحقـود والأضـغان ... حيث رَعـي المقـدس المـون

لهف نفسي وما أعلـل نفسـي ... وقضى البين بين يـومي وأمسـي

ذاك ليلي وهذه الشمس شمسـي ... والأواني كـثيرة التلـوين

كيف أرجو لما فقـدتُ رجوعـا ... وعدا الصم مـا دعـوت سميعـاً

وعصي الصـلاح دان المطيعـا ... وقضى دون مـا رجـوت ودوني

عاثَ في الدين واستخف الغـواة ... واسـتهانوا بمـا أتتـه الـدعاة

وصـموه بمـا جنتـه البغـاة ... ورمـوه بقارعـات المجـون

نبذوا الواجب المقـدس ذهـلا ... إذ رأوا سُـبَّة الإباحـة سـهلا

ودعوا سنة الحقيقة تجلى ... تسحق الجور كسحق الأتون

لا يخافون ما جنوه عقابا ... وعلى الخير لم يرجوا ثوابا

أرسل الله من لدنه شهابا ... بشواظ على الغواة فيخزي

ذاك ذو السؤدد الأجل الصميم ... صالح الناصر الإمام الحكيم

منتمٍ لا يحلُّ دون النجوم ... ونجارٍ سما على نبتون

زانه بالتقى وحسن الخلال ... كعبة الفضل صالح الأعمال

ووقارٍ متوّجٍ بالكمال ... ونوالٍ ممثّلٍ بالمتون

وحنان ورأفة وسداد ... وعفاف وحكمة واجتهاد

قرّح الليل جفنه بالسهاد ... من حنينٍ ورقّةٍ وأنين

نال قصر العلا بهجر الهجوع ... لسنا قدسه الأعز الرفيع

يا له الله من سميعٍ مطيع ... قد هداه اليقين عين اليقين

ألجم النفس بالعبادة ليلاً ... عن هواها وبكرةً وأصيلا

صاغه الله من سناء الهيولى ... حيث حاك الورى بماءٍ وطين

أخلص الصدق في الولاء الشريف ... وقضى الشرع واجب التكليف

خلقٌ طاهر بقلبٍ رؤوف ... وأناة كلطفِ ماءٍ بلين

شاد للدين أي حصنٍ منيع ... ومغانٍ أوانس وربوع

آهلاتٍ بكل معنىً بديع ... ثابتات على قرارٍ مكين

داعياً للهدى وحفظ العهود ... سنّة الله والوفا بالعقود

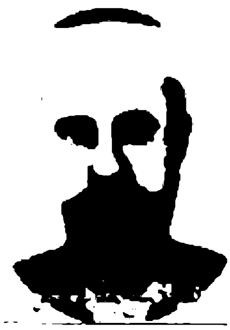
وبعرفان كل ما في الوجود ... وأصول الكيان والتكوين

جدد الرسم بعد كان رثيثا مستبينا قديمه واحديثا
ما حوى الكون طيبا وخبيثا مع أحاج وآحس ومعين
دلّ عن كلها بوجه عميم من حميد وهامل وذميم
وحديث مؤوّل بقديم بتوالي القرون بعد القرون
معربا عن حقائق الإسلام من صلاة فريضة وصيام
وزكاة النهى وحج المقام وجهاد الهوى وقمع الظنون
حبذا الفقه والمعاني الجليلة ونعما ذخيرة ووسيلة
حسناتٌ زهت بكل فضيلة باهرات بعُرف كل أمين
كم ليالٍ قضى بفض المعاني ساهر الطرف خشية الرحمن
روَّح الله روحه في الجنان بين حورٍ من الملائك عِين
ناعماً بالخيار مع خير أنس خالداً في جوار عالم قُدس
مُطلق النفس من علائق حس جوهري الإهاب حر الشؤون
وتقاضى جهاده ضِعف أجر وحياةً تسرُّهُ كل فجر
ورياضاً منعمات بزهر وظلالٍ وباردٍ من مَعين
يا منار الهدى وغوث المصاب يا ولي المهيمن الوهاب
دعوةً من دعائك المستجاب لحليف الكآبة المسكين
ذاك جُل المنى وسر ولاكا بعد عفو الكريم حسبي دعاكا
قد تركت القريض لولا ثناكا وعصاني مطيعه من سنين
وعليك الرضى ونور التحية وسلامٌ ورحمةٌ مرضية

ما بدا الـيُمن بكـرةً وعشـيا مسـتهلاً بوجهك الميمـون

وغـوادي الصلاة ثم السلام هاميات علـى أجـل الأنـام

وعلـى آلـه الهـداة الكـرام ما انثنى بالصبا قـوام الغصـون



الفصل الرابع

قالوا

في العلامة الشيخ يعقوب الحسن

وتذكرته

الفصل الرابع

قالوا في العلامة الشيخ يعقوب الحسن ﷺ وتذكرته

تأتي أهمية المقالات التي كتبها العلامة الشيخ يعقوب الحسن ﷺ في تذكرته لأنها جاءت كرد علمي تصدى لمحاولات المبشرين والمتشرقين المدعومين من قبل الدول الاستعمارية الذين جاءوا إلى بلادنا لنشر الفكر الغربي الإلحادي وتشويه الدين الإسلامي وتنصير المسلمين. ففي المرحلة التي كتبها فيها العلامة الشيخ يعقوب ﷺ تذكرته كانت فرنسا تستعمر سورية وكانت السلطات الاستعمارية تعمل على بذر الشقاق بين السوريين وعلى زرع بذور الإلحاد ومحاربة الإسلام والأديان كافة، لذا جاءت تذكره الشيخ ﷺ كرد علمي على هذه المحاولات الخبيثة حيث دافع عن الدين والتدين وكشف زيف النظريات الغربية الإلحادية واستشهد بآراء بعض المفكرين الغربيين الذين يعارضون هذه النظريات وهذا يدل وبوضوح تام على سعة إطلاعه وعمق معرفته وكانت تذكرته أول رد علمي مدروس ومدّعم بالمصادر والوثائق على هذه النّزعات الإلحادية التي كان يهدف

الاستعمار من وراء نشرها صرف أنظار الشباب عن دينهم وعقيدتهم لتسهيل سيطرته على هذه البلاد لفترة أطول. وهكذا كان لهذا العلامة فضل السبق في الدفاع عن الدين والوقوف في وجه هذه المحاولات الاستعمارية الهادفة إلى استئصال الدين والقيم من جذورها ونجح العلامة في مسعاه نجاحاً باهراً فجزى الله هذا العلامة خيراً لأنه دافع عن العقيدة دفاعاً عظيماً لم يسبقه إليه أحد وقد قام علماء عصره بتقريظ هذه التذكرة وقيّموها تقييماً عالياً وكان في مقدمتهم إمام الأجيال العلامة الشيخ سليمان الأحمدتيَّ حيث قال في تقريظ ((التذكرة)):

« أحسن سيادة العلامة الفاضل الشيخ يعقوب الحسن في هذا المسلك اللطيف الذي انتهجه في التأليف، فقد سئمت الأمة كثرة الرسائل المؤلفة في العصر الأخير بتبيين المسلمات وتوضيح الواضحات مما لا يؤيد مقالة ولا يوضح دلالة ولا يدحض ضلالة ولا يرفع جهالة، حتى أصبحنا في أمس الحاجة لمثل هذه التذكرة تبصرة للموقنين ودفعاً في صدور المعطلين ومتنطعة المليين وجهلة الناشئين. وحقاً إن من نظر في ضلالات الشعوب السابقة وما كان عليه

الوثنيون والكتابيون أيضاً أقر مضطراً بوجوب البعثة. ومن بحث في فلسفة الدين الإسلامي وما كان عليه أهل النفاق وما صنع في السقيفة والشورى وما نجم عنهم من الأمور التي قلبت الإسلام رأساً على عقب. علم علماً يقيناً لا يخامره الريب بوجوب الاقتداء بالعترة الطاهرة الذين لا يفارقهم الكتاب ولا يُفارقونه، وفي هذه الرسالة من هذه المعاني الجميلة جملة صالحة لإنارة البصيرة ودفع الشك والحيرة. لما فيها من مسائل الكتب الإلهية والآثار النبوية وما يؤيدها من الفلسفة الطبيعية، وإنها وافيةً بالمراد، وهي نعم الزاد ليوم المعاد. هذا ما حق لي عند مطالعة هذه الرسالة أوردته حسبما اعتقدته بلا إزراء ولا إطراء، فجزى الله المؤلف خيراً ووفق مسعاه وسدد مرماه وثبتنا على ولايته وهداه ونفعنا بالعلم والعلماء آمين».

وفي قصيدة متميزة لإمام الأجيال العلامة الشيخ سليمان الأحمد ﷬ يمدح فيها العلامة الشيخ يعقوب الحسن ﷬ اخترنا هذه الأبيات:

أشكو إلى الله عصراً ذلَّ عالِمُه   واعتزَّ جاهلُه وانحطَّ أرفعُه

يـا ربـع آذنـةٍ حيَّتـك غاديـة	من السحاب رباك الرحب تمرعـه
أصبحت مكـة إيمـاني بحـجُ لهـا	رب النباهة مُضنى القلب مولعـه
أمسى بك الماجـد الميمـون طالعـه	والكوكب الماحق الـديجور مطلعـه
يقلب الفكر فيمـا لـيس تدركـه	أماني النـاس في العليـا فيجمعـه
حنـت لرؤيـة أهليـه سـجيته	فسـار الصـبر مسـلوباً يودعـه
مستصحباً غصصـاً قتالـة وأسـىً	أود لـو أن جسـمي راح يتبعـه
يعقوب يوسف صبري بيـع في ثمـن	بخس وسجن الجوى مذ بنت أربعـه
يطوي الضلوع على مثل الغضا حرقاً	وللغـرام سـكاكين تقطعـه
أنت الحبيب الذي ملأ العيون سـناً	والقلب حباً وأنت السمع مسـمعه
يكاد يوماً يطير القلب مـن شـغفٍ	شوقاً لذكرك لولا ظلـت أردعـه
في كـل يـوم إلى لقيـاك لي كبـد	تخوض بحر المـنى وهمـاً وتقطعـه
هل يبرئ الدنف التعليلُ مـن علـلٍ	وعنـده كـل آنٍ مـا يولعـه
والحب في الله أعلى كـل مفتـرضٍ	وجل نيل أخي الأشـواق مطمعـه
بالله بلـغ سـلاماً ختمـه عطـراً	يختصـه أوحـد التأيـد أبرعـه
علامة العصر رب المجد أحمـد مـن	سمت على أصل هام الغفـر أفرعـه
وكـل ذي ثقـة بـالله معتكفـاً	يحيي الظلام سهاداً لـيس يهجعـه
أزكى التحيـة والتسـليم يردفهـا	أهداكموه رهـين القلـب مولعـه
ما حنت الورق بـالأوراق سـاجعة	وشـاقها علَـم الجرعـى ومربعـه

أما الشيخ الشاعر عبد الكريم سعد مدّ ظله فقد مدح العلامة الشيخ يعقوب الحسن قدس سره بقصيدة اخترنا منها هذه الأبيات:

قل للألى حجرُ الصبابه أودعــوا … في مهجتي وسرُوا ضحى ماذا ادعوا

لي في الغرام ســريرة ومهــذبي … بــدرٌ بــأفلاك الهدايــة يســطع

شمس الجمال أبو الكمال طلابــه … من ذي الجلال جلالــة وترفــع

يعقوبنا المقصود في حجر النــهى … منهاج رشــد المهتــدين الأرفــع

ما المجد إلا بضعة من بعض مــا … اكتسبت يــداه وخُلــة تتنــوع

ولديه في سوق البيــان منــادي … أين الكمُيت وقســها والأصــمع

لله يعقوب الكمال ومــن علــى … تذكاره بالوصف ضــاق الأوســع

ما كــل راج للســيادة نــائلاً … شرفاً ولا كــل الجهــاد مُرفــعُ

يا أيها الملــك المعطــر ذِكــرهُ … بالمدح نثــراً كــالعبير وأضــوع

صُغت البديع من البديع طــرازُهُ … لطف البيان على انتظــام تبــدع

وببعضه خصصت بعض صفاتكم … هذا الخصيص وعين لطفك أرفــع

أملتــه زهــراً ونفــح نســيمه … عطراً زهــا أو عقــد دُرٍ يلمــع

جوزيت يا مولاي أضــعافاً بمــا … جازيت إذ بالسبق فضلك أوســع

أما الأديب والشاعر محمد حمدان الخير فقد نظم قصــيدة قرظ فيها تذكرة العلامة الشيخ يعقوب الحسن قدس سره اخترنا منها هذه الأبيات:

يـــا ولي الله والمختـــار طـــه   زادك الله كرامــــات وجاهـــا

أنت أوضحت لنا نهـــج الهـــدى   كم بصيرٍ عنـــه لـــولاك لتاهـــا

كــــرم الله حيـــاة عشـــتها   في سبيل الدين وقفـــا ورعاهـــا

قمت تدعو الناس مـــن أولهـــا   للهدى والحب حـــتى منتـــهاها

بـــارك الله بهـــا في مهـــدها   في حجاهـــا وعلاهـــا وتقاهـــا

لم يـــزل يعبـــق فينـــا طيبـــها   منك حتى ملأ الكـــون شـــذاها

يالهـــا خـــير حيـــاة بيننـــا   لم يـــزل للمعتفـــي دان جناهـــا

ثبتُ تـــدعوك المعـــالي شـــيخها   وعلى عهد الصبا كنـــت فتاهـــا

فتبـــوأت ذراهـــا مقعـــداً   وأرى حقك أعلى مـــن ذراهـــا

* * *

حبَّـــذا تـــذكرة ألفتـــها   لمحـــبي عتـــرة المختـــار طـــه

من مبـــاني غيرهـــم زخرفتـــها   وعلى التوحيد حكمـــت بناهـــا

قطبـــها التوحيـــد إلا أنهـــا   حول ما وافقـــه دارت رحاهـــا

يـــا لهـــا تـــذكرة في طيهـــا   تجد النفس من البلـــوى شـــفاها

يا لهـــا تـــذكرة كـــم بعثـــت   لعيـــون نورهـــا بعـــد عماهـــا

يـــا لهـــا تـــذكرة لم تلـــق في   بابها ما يقنـــع العقـــل ســـواها

يا لهـــا تـــذكرة لـــو قـــدمت   لاهتدت هذي البرايـــا بهـــداها

فـــائز والله مـــن دان لهـــا   هالك من شـــك فيهـــا فأباهـــا

قل لمن ينكرهـــا وهـــي الـــتي   تستمد العين نوراً مـــن ســـناها

هي كالشــــمس ولا غــــرو إذا	أنكر الشمس عمي في ضــحاها
وحدت كــــل الـــديانات الـــتي	لم يمل عن منهج الحــق ســراها
وتعـــــاليم شـــــعوب كلـــــها	أهلها كان علــى الرمــز بناهــا
هكذا التأليف لا مــــا جــــاء في	فترة طال على الشـعب مـداها
عليها تهــدي إلى نهــج الهــدى	معشر النشء المفــدى وعســاها
علّهـــا تحيـــي قلوبـــاً ميتـــة	وتروي أنفســاً طــال ظماهــا
لا رعـــى الله غويـــاً جمعـــت	نفسه فيـــه وجـــت في هواهـــا
يدعي العلـــم ســـفاحاً والنـــهى	كم جهول يدعي العلم ســفاها

* * *

إن شيخ الدين يعقـــوب لـــذو	رتبة علياء جلــت أن تضــاهى
سل بني التوحيد هل في كتبـــهم	نكتـــة غامضـــة إلا جلاهـــا
وبني الإلحاد هـــل أبقـــى لهـــم	حجـــة أدلـــوا بهـــا إلا نفاهـــا
فجـــــزاه الله عـــــن أمتـــــه	كـــل خـــير شـــامل لا يتنـــاهى
إنمـــا الفـــوز بجنـــات البقـــا	حاجة في نفس يعقـــوب قضـــاها

ومن تقريظ للتذكرة قال الشيخ الشاعر يـــونس يوســـف الطليعي رحمه الله في قصيدة مطولة اخترنا هذه الأبيات:

أيـــا مـــن رام ســـفناً للنجـــاة	عليـــك بســـر تـــذكرة الحيـــاة
كتاب قد حوى أســـنى المعـــاني	بألفـــاظ كُشـــهب نـــائرات

زهـــا برشـــاده فجـــر مـــنير فســـار بنـــوره حـــزب الهـــداة
عن الحكماء والعلمـــاء لاحـــت جـــواهره بنشـــر زاهـــرات
وفي أســـراره شـــهدت ملـــوك بـــإعراب الرمـــوز المعجمـــات
خلاصة ســـره توحيـــد فـــرد تسامى عن نعوت مع صـــفات
وأرسل للورى رُســـلاً كرامـــاً لإظهـــار الشـــرائع والعظـــات
بشرعهم شموس الرشد نـــارت بـــنص زبـــورهم مـــتجملات
وفي أقـــوالهم صـــينت دمـــاء مع الأرزاق في كـــل الجهـــات
ولولا الدين لـــن تلقـــى مجيبـــاً ولا عُرِفَ الهـــداة مـــن الغـــواة
فداعي الغِي يـــأمر في ضـــلال وأفعـــال الأمـــور المنكـــرات
وداعي الدين لا ينفـــك يـــدعو مدى الأوقات حي على الصـــلاة
وصوم مـــع جهـــادٍ ثم ســـعي إلى الحـــج المُعظـــم والزكـــاة
هـــذا أنبيـــاء الله جـــاءت وهـــم خلفـــاؤه خـــير الـــدعاة
وبعـــد الأنبيـــاء أتـــت ثقـــاة من العلمـــاء أهـــل المكرمـــات
عن الرسل الكرام حووا عُلومـــاً وتوحيـــداً لنشـــي الكائنـــات
وعنهم أظهروا كرمـــاً وحلمـــاً وأخلاقـــاً حســـاناً ســـاميات
حليف الفضل يعقوب تســـامى بإظهـــار العلـــوم الســـاطعات
إلى حسن زكـــا فرعـــا جلـــيلاً بأنســـاب عظـــام طـــاهرات
إمـــام ســـاد في علـــم مـــنير وأعمـــال حِســـان صـــالحات
بدت أســـفار بالشـــعب تزهـــو بـــأنوار الهـــدى متبلجـــات

وقد جمع البيـــان بُحسن نثـر   وفي نظـم القـوافي الرائقـــات
واظهر للأنـام مفـيض علـم   وجـود كـالبحور الزاخـرات
بتذكرة الحيـاة جـلا علومـاً   بإيضـاح الحقـوق الواجبـات
مـآل نورهـا التوحيـد حقـاً   ولـو جـاءت منوعـة الـرواة
كفاه بمـا روى شـرفاً مشـيراً   إلى الـرحمن في كـل اللغـات
إلهـي زده تكريمـاً وعـزاً   والطافـاً بعفـوك دائمـات
ويوسف غرسه بُعـلاك يسـمو   بحفظـك في المكـارم والهبـات
ومـن والاهمـا يلقـى دوامـاً   بجـودك أنعمـاً مترادفـات
إليكم سـادتي أبيـاتُ مـدح   تـؤرخ خـير نهـج للحيـاة
هداها عاجز يرجـو رضـاكم   فـذلك مقصـدي وبـه نجـاتي
وأنوار الصـلاة علـى رسـولٍ   أتـى بـالمعجزات الواضـحات

وفي الختام، أرجو أن أكون قد وُفقت في تبيين ولو جزء بسيط من فضل مولانا العلامة الشيخ يعقــوب الحســن ﷺ، والذي نعجزُ عن وصفه لشدة كماله، وستبقى دعوته منــارةً تهدي أهل الحقيقة وتوضح لهم الطريق الذي يجب أن يسلكوه، رضيَ الله عن هذا العالم العلامة والحبر الفهامة، وجعلنا ممــن اهتدى بعلمه واقتدى بسيرته. وَآخِرُ دَعْوَانا أَنِ الْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

المؤلف في سطور

محمود عبد الرحمن آل عباس سلمان بيعصين .

ولد في قرية المشرفة/مصياف ١٩٤٦م

ـ إجازة في التاريخ من جامعة بيروت العربية ١٩٧٠م

ـ مدرس في ثانويات حمص ١٩٧٤ ـ ٢٠٠٦م

ـ له دراسات تاريخية وسياسية منشورة في جريدة تشرين والعروبة وجريدة الإتحاد الصادرة في الإمارات العربية المتحدة وجريدة الأخبار العربية الصادرة في لندن وفي مجلة الأجيال والمجلة العربية السعودية ومجلة جيش الشعب.

من مؤلفاته :

سلسلة « **من مدرسة أهل البيت**عليهم السلام » صدر منها :

١. علامة الأجيال الشيخ سليمان الأحمدقدس سره.

٢. علامة الجيل الشيخ عبد اللطيف إبراهيم مرهجقدس سره.

٣. إمام المجاهدين وشيخ الثوار الشيخ صالح العليقدس سره.

٤. شاب العلم .. الشيخ عبد الهادي حيدرقدس سره.

٥. الشيخ حيدر محمد حيدرقدس سره.

٦. الشيخ علي بن منصور الصويري قدس سره.

٧. آل الحكيم، الشيخ ناصر الحكيم قدس سره، الشيخ صالح الحكيم قدس سره، الشيخ إبراهيم الحكيم قدس سره.

٨. الشيخ أحمد إسماعيل /الرقمة/.

٩. العلامة الشيخ يعقوب الحسن.

وله مؤلفات أخرى منها :

- تاريخ القوقاز. صدر عن دار النفائس بيروت ١٩٩٩
- حرب الشيشان الثانية ٢٠٠٢
- آفة المخدرات ٢٠٠٧
- الكاريكاتير السياسي العربي وأعلامه ٢٠٠٨

الفهرس

أديـن لله بالـدين الحنيـف وقـد   آمنت حقاً بما فيـه أتـى عيسـى

ومذهبي الشـرع لا إن القيـاس بـه   من حيث لم يفـرض الله المقاييسـا

كيف السبيل وقد ضل الـدليل هـدىً   دعوا إمامـاً وحاخامـاً وقديسـا

قـد صـيروا كتـب الإلهـام مأكلـة   ودنسوها فبئـس القـوم تدنيسـا

يبـدون نسـكاً وإن حققتـه شـركاً   وحيلـة لبسـت بـالمكر تلبيسـا

يحكـون بـالقول إن قـالوا ملائكـة   لكـن بالفعـل تلقـاهم أباليسـا

توزيع مكتبة شاشر

سوريا - طرطوس
هاتف : ٣١٩٧٨٠
٣١٩٧٨١
٣١٩٧٨٢
فاكس : ٣١٩٧٧٧
جوال : ٠٩٥٥٣١٩٧٧٧

4568971423649